الجمهوريـــة الجزائـــريـــة الديمقراطيـــة الشعبيـــة
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليـــــم العالـــي والبحـــث العلمـــي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف
معهد الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

المرجع : .....

قصة سليمان عليه السلام مع الهدهد وملكة سبا

-دراسة فنية-

مذكرة معدة استكمالا لمتطلبات نيل شهادة الماستر

الشعبة : أدب عربي

التخصص : أدب عربي قديم

إعداد الطالبة :
ياسمينة جامع

إشراف الأستاذ :
عبد الحفيظ بوريو

أعضاء لجنة المناقشة :

1- الأستاذ عبد الحفيظ بوريو.....مشرفا
2- الأستاذ سليم بوعجاجة.....رئيسا
3- الأستاذ سليم مزهود.....مناقشا

السنة الجامعية : 2015/2014

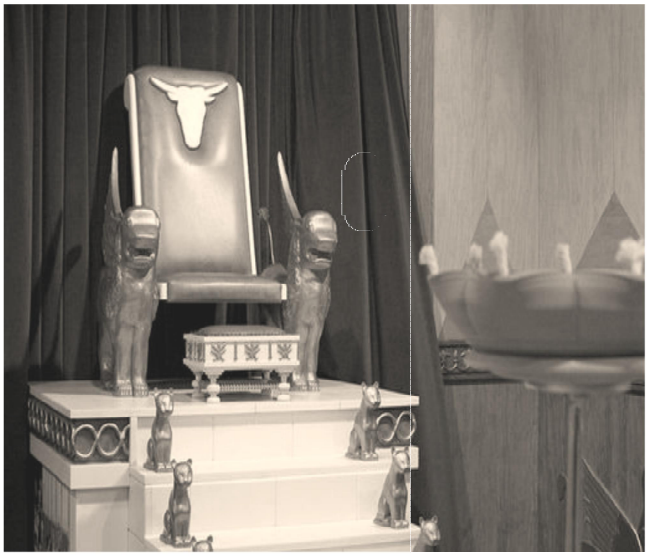

قال تعالى :

﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾
إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾
أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾﴾

[النمل:٢٩-٣١]

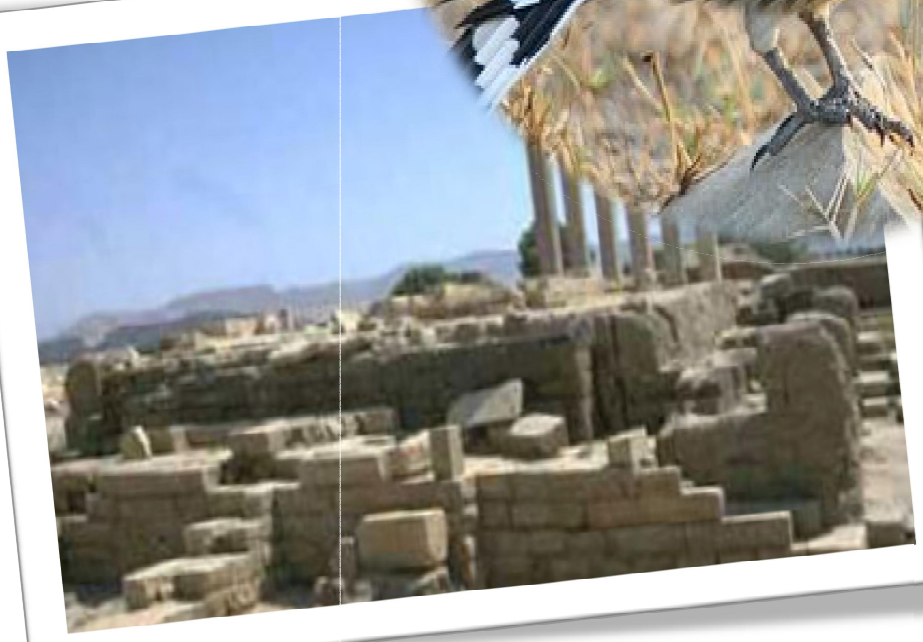

شكر وعرفان

أشكر الله تعالى ، الذي علَّم بالقلم ، علَّمني مالم أعلم والذي وفقني في انجاز هذا البحث في وقته واعترافا لأهل الفضل بفضلهم فإني أتوجه بالشكر الجزيل إلى أستاذي القدير الكبير بعلمه "عبد الحفيظ بوريو" حفظه الله ، الذي تفضَّل بقبول الاشراف على هذه المذكرة ولم يبخل علي بأي توجيه أو نصح أو ارشاد ، فجزاه الله عني كل خير.

كما أشكر الأستاذ منير بن الديب ، والأستاذ ابراهيم لقان وكل من ساعدني ولو بالنصيحة.

الباحثة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾

يوسف : 111

مقدمة

مقدمة

سَحر القرآن العرب منذ اللحظة الأولى التي نزل فيها فمنهم من شرح صدورهم ومنهم من جعل على قلوبهم غشاوة ، فكان **محمد صلى الله عليه وسلم** هو الداعية إلى الإيمان ، فالقرآن الكريم كتاب دعوة دينية قبل كل شيء وكانت القصة من بين الوسائل الكثيرة لإبلاغ هذه الدعوة ، وتثبيتها في النفوس بالأسلوب القصصي الحكيم الفريد فقد سيقت لتحقيق أغراض دينية بحتة ، بما فيها من إرشاد للبشرية وحكم كثيرة وعظات وعبر وأهداف وغايات سامية ، ولكن هذه المقاصد لكي تستقر في أماكنها وتؤدي هدفها كان لابد لها من أدوات بلاغية لتنقُلها في أحسن صورة ، وأبلغ تعبير ، فالقرآن الكريم يجعل الجمال الفني أداة مقصودة للتأثير في الوجدان ، وإدراك الجمال الفني استعداد لتلقي التأثير الديني.

وقد امتازت القصة القرآنية بسمو غايتها وشرف مقاصدها وعلو منزلتها ، وتعددت مدلولاتها ، فاحتوت كثيرًا من تاريخ الأنبياء والرسل مع أقوامهم ، وكان لها صداها وتأثيرُها العميق في النفوس ، وقد بُثت في أحسن حلة وأروع أسلوب فكانت معجزة تأثيرية بليغة ، وزَخرت بقيم جمالية رفيعة سحرت القلوب والعقول لما أضمرته من جمال فتَّان وإعجاز بياني رفيع ، كل هذا في قول مبين وأسلوب حكيم ولفظ رائع فكانت بحق المثل الأعلى وفوق كل فن وأدب رفيع.

كما نالت القدر الكبير من الدراسات والبحوث من قبل المفسرين والبلاغيين ، والأدباء والمفكرين ، وأُعجب بها كثير من الباحثين وكرَّسوا جهدهم للغوص في معانيها وتبيان قيمها الفنية الساحرة ، والتي عجز الإنس والجن على الإتيان بمثلها لقوة بيانها وروعة إعجازها.

ولكنَّ البحث في القرآن يبقى متشعب الأطراف وتبقى الدراسات حوله قاصرة أمام إعجازه وبيانه ، ولكنَّها على كل حال تبقى محاولات وجهود جبَّارة لا يمكن إنكارُها ﴿**قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا**﴾[الكهف : ١٠٩].

ولنضع في حسباننا أنَّ القرآن الكريم هدفه الأول هو الغرض الديني قبل كل شيء أمَّا الجانب الفني فهو أداة لتبليغ الرسالة السماوية ، وهو ليس فسحة للتجريب أو أن نفرض عليه منهجا من عندنا ، فهو كلام ليس بنثر ولا بشعر ، ولا تنطبق عليه القوافي ولا الأسجاع ، بل هو كتاب فُصِّلت آياته وأُحكمت وضبطت بدقة من عند العليم الخبير.

صحيح أنَّ القصة القرآنية ذات طابع فني محض لا يمكن إنكاره ، لكن يجب أن يُفهم الفن على حقيقته ، فلا ينبغي أن نتعامل مع القصة القرآنية على أنَّها تلك القصة الأدبية الحرة الطليقة والتي غرضها الأول التسلية والترفيه.

قصة سليمان عليه السلام مع الهدهد وملِكة سبإٍ بوصفها موضوع الدراسة هي من بين القَصص القرآني المعجز والفريد بأسلوبه ، فقد احتوت على قيم رفيعة ومعان جليلة بالرغم من أنَّ هدفها الأول ديني إلا أنَّها تمثل فن القص بأسمى معانيه ، من بين هذه المعاني الراقية آثرت أن أتناول الجانب الفني فيها انطلاقا من عناصرها الفنية وكذا خصيصة التصوير فيها ثم فنية اللغة والصورة ، فالأسلوب ، والقص القرآني بكل فنياته أثار ذهن المتلقي وحارت فيه العقول المفكرة وشغفت به القلوب لما فيه من إعجاز وجمال وحسن تدبير .

وقصة سليمان عليه السلام مع الهدهد وملكة سبإ تُمثل واقعة حقيقية وجوانب ملموسة قد شُوهدت في زمن من الأزمنة الغابرة ، فأحداثها حقيقية وشخوصها واقعية ، جاء بها القرآن من الماضي البعيد الغابر ليبثها لنا في أحسن صورة ، إنَّها تكشف لنا عن بناء قصصي محكم من عناصر فنية أكسبتها رونقا وجمالا من أحداث وشخصيات وحوارات وأزمنة وأمكنة ، وخوارق ومشاهد رائعة ، ولغتها حية ومعبرة وأسلوبها شيق وقد ساعدت أسباب ذاتية وأخرى موضوعية في اختياري للموضع منها :

ولعي الكبير بالقَصَص القرآني لأنَّه الفن الأسمى والذي عجز الإنس والجن على الإتيان بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ، ولأنَّه نعمة كبيرة بعثها الله إلينا في أبهى صورة وأرقى تعبير ، نعمة لا يعرفُها إلا من ذاقها نعمة ترفع العمر وتباركه وتزكيه.

رغبتي الكبيرة في فهم معانيه الجليلة وإشباع روحي من عبقه ، وإقتداءً بسيدنا سليمان عليه السلام فقد كان شخصية فريدة ، وإنسانا طيبا ، وملكا عادلا ومتواضعا ، طائعا لربه تميز بالحزم والعزم ، وكان دائم الشكر لربه.

إعجابي الكبير بشخصية الهدهد الطائر الصغير فبالرغم من أنَّه مخلوق صغير إلا أنَّه معجزة وحكمة عظيمة من الخالق ، فتمسُّكه بدين التوحيد ودفاعه عنه وتبليغه الرسالة قد بلغ مرتبة رفيعة.

إعجابي الكبير بالشخصية السياسية لملكة سبإ ، فهي مثال للمرأة القائدة والحكيمة العاقلة والفاطنة ، وهي قدوة للنساء المؤمنات ، فقد أعملت عقلها وحافظت على مُلكها وشعبها واتخذت قرارا سليما ، فهداها الله إلى طريق الحق.

والموضوعي من الأسباب يظهر في أنَّ هذه القصة القرآنية إنَّما جاءت لتحقيق غايات سامية من عبر وعظات ، وإرشاد للنفس البشرية ، فهي تعكس بداخلنا قيما جليلة من أخلاق حميدة وحسنة اتصف بها الأنبياء والمرسلون ، فتجعلُنا نتمسك بها فهي تُحرك النفوس وتحفِّز الهمم وهي عبرة لأولي الألباب .

ومن الأسباب الأخرى الدعوة إلى الاهتمام بالقَصَص القرآني وتحفيز الآخر على التمسك بالقيم الدينية التي يحملُها ، ودعوة القُصاص إلى بناء قصة إسلامية راقية متبعين في ذلك المنهج القرآني السليم .

ومن بين الأهداف استخراج القيم الفنية والجمالية للقصة القرآنية من حوادث وشخصيات ، وحوارات وأزمنة وأمكنة وغيرها ، بالإضافة إلى فنية اللغة والأسلوب فقد تضافرت هذه الفنيات لتكون بذلك أداة سُخرت لخدمة المضمون ، فأدت وظيفتها وعززت الخطاب ليصل إلى المتلقي في أحسن صورة وأبلغ تعبير.

وبعد دراسة قصة سليمان عليه السلام مع الهدهد وملكة سبإ اعتمدت على المنهج التكاملي والذي احتوى عدة مناهج ، من بينها المنهج الفني بالدرجة الأولى والذي من خلاله استخرجت الجوانب الفنية للقصة القرآنية .

وقد اتبعت في معالجة موضوعي على مصادر ومراجع مختلفة منها القرآن الكريم كونه موضوع الدراسة ، وأخرى تخدم موضوع البحث منها : "القصَص القرآني في مفهومه ومنطوقه" لعبد الكريم الخطيب ، "القصة في القرآن الكريم" لمحمد سيد طنطاوي "الفن القصصي في القرآن الكريم" لمحمد أحمد خلف الله ، "القصَص القرآني وأثره في استنباط الأحكام" لأسامة عبد العظيم حمزة ، "الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية"

لمحمود السيد حسن مصطفى و"الجانب الفني في قصص القرآن" لعمر محمد عمر باحاذق فكانت خطتي في ذلك ثلاثة فصول بمقدمة وخاتمة تضم نتائج البحث ككل.

مقدمة : عرَّفت فيها بالموضوع وأهميته وأسبابه ، ودوافع اختياره والأهداف المرجوة منه.

الفصل التمهيدي : وكان عرضا لبعض المفاهيم ، القصة لغة واصطلاحا ، القصة القرآنية خصائصها ، وأنواعها ، أغراضها وأهدافها.

الفصل الأول : وكان بعنوان القصة القرآنية عناصرها وفنياتها.

الفصل الثاني : والمعنون بالقصة القرآنية وأبعادها الجمالية.

خاتمة : كانت عبارة عن ملخص ضمَّ مختلف الاستنتاجات للمعارف السابقة ، وأبرز قيمة الموضوع ككل.

ومن الصعوبات التي واجهتني في هذا البحث :

- التردد في تناول مثل هذا الموضوع الذي هو من كلام الله جل وعلا شأنه والإحساس بعدم الحرية في التصرف فيه ، والخوف من الخوض مبهماته ، وعدم إعطائه قيمته التي يستحقُها ، وحقه من البحث.

- البحث في القرآن الكريم ودراسته أمر فيه صعوبة ، فكل كلمة لها حقها في الدراسة ولا يجوز لأي باحث أن يُعبِّر كيفما شاء ، ويؤول حسب فهمه دون أن يلجأ لكتب التفاسير.

وفي الختام أتقدم بالشكر والتقدير والعرفان إلى أستاذي ومرشدي الأستاذ القدير والكبير بعلمه وفكره -عبد الحفيظ بورين- حفظه الله ورعاه وزاده من علمه والذي أشرف عليَّ ولم يبخل بالتوجيهات والنصائح ، وكذا حُسن معاملته وطيبة قلبه ورقَّة طبعه وجزاه الله عني كل خير.

وهذه كانت فرصتي للتدبر في معاني القرآن الجليلة وتذوق ثمراته الطيبة ، وأرجو أن أكون قد وُفقت في دراسة هذا الموضوع ولو على وجه قريب من الصحة ، وأسأل الله أن يغفر لي زلاَّتي ، وأسأله أن ينوِّر قلبي بنور القرآن ، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

﴿رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾

[البقرة : ٢٨٦]

لمبحث لأ : لقصـة لغـة صطلاحـا

لمبحث لثاني: مفهو لقصـة لقر نية

لمبحث لثالث : خصائص لقصة لقر نية

لمبحث لر بع : نـو لقصة لقر نية

لمبحث لخامس : غر لقصة لقر نية

المبحث الأول : مفهوم القصة لغة واصطلاحا

أولا : القصة لغة

ورد في معجم مقاييس اللغة في مادة ((**قص**)) :

القاف والصاد أصل صحيح يدل على تتبُّع الشيء من ذلك قولهم : اقتصَصت الأثر إذا تتبَّعته ومن ذلك اشتقاق القِصاص في الجِراح ، وذلك أنَّه يُفعَل به مثل فِعله بالأول فكأنَّه اقتصَّ أثره ، ومن الباب القِصة والقَصَص ، كل ذلك يُتَتَبعُ فيذكر وأمَّا الصَّدر فهو القصُّ[1]

ويُقال : "قصَّ أثَره قصًّا وقَصيصًا : تتبَّعه ، والخبر أعلَمه ، ﴿**فَارْتَدَّا عَلَى آَثَارِهِمَا قَصَصًا**﴾[الكهف : 64] أي رجَعا من الطريق الذي سلَكاه يقُصَّانِ الأَثَرَ"[2] ، والمعنى هنا يفيد التتبع وتقصِّي الأثر.

تَقصَّص كلامه حفِظه وتَقَصَّص الخبر تتبَّعه والقصةِ الأمر والحديث رويته على وجهه وقصَّ عليه الخَبَر قَصَصًا ، وقال أمية بن أبي الصلت :

قالت لأخْتٍ له قُصِّيهِ عن جُنُبٍ ** وكيف يَقْفُو بلا سولٍ ولا جَدَدِ[3].

والقَصَص الأخبار المتتبَّعة ، قال تعالى : ﴿**إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ**﴾ [آل عمران : 62][4].

---

[1] - أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا : معجم مقاييس اللغة ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ط1 ، 2001 ، ص826.

[2] - الفيروزبادي : القاموس المحيط ، إشراف : محمد نعيم العرقسوسي ، مؤسسة الرسالة ، ط 8 ، 2005 ص627.

[3] - ابن منظور : لسان العرب ، دار النوادر ، الكويت ، طبعة 2010 ، ج8 ، ص342.

[4] - الراغب الأصفهاني : مفردات ألفاظ القرآن ، تحقيق : صفوان عدنان داودي ، دار القلم ، دمشق ، ط4 2009 ، ص671.

يقول ابن منظور : القَّص فعل القاص إذا قصَّ القِصَص ، والقِصة معروفة ويقال في رأسه قِصة يعني الجملة من الكلام ونحو قوله تعالى : ﴿**نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ**﴾[يوسف : 3] نبين لك أحسن البيان والقاص الذي يأتي بالقصة من فصلها ويقال قَصَصت الشيء إذا تتبَّعت أثره شيئا بعد شيء ومنه قوله : ﴿**وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ**﴾[القصص : 11] أي تتبعي أثره[1] ، وهنا كذلك أفاد معنى التتبع وتقصي الأثر .

وقوله : "لاَ تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ ، بمعنى لا تَرْوِها قال تعالى : ﴿**قَالَ يَا بُنَيَّ لاَ تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ**﴾[يوسف : 5]"[2] والقصة هي "الشأن والأمر ، يقال (ما قِصتُك) أي ما شَأنُكَ والجمع (قِصَصٌ)"[3] ، "واقتص الحديث : رواه على وجهه وتقاصَ القوم قصَّ كل واحد منهم صاحبه في حساب غيره"[4].

ويُفرق ابن منظور بين القَصَص بالفتح والقِصَص بالكسر فيقول: "والقَصَص الخبرُ المقصوصُ بالفتح وُضع موضع المصدر حتى صار أغلب عليه والقِصَص بكسر القاف جمع قصة التي تُكتب"[5].

إذن هناك فرق بين لفظتي القَصَص والقِصَص ، فالأولى قد ارتبطت بكل خبر مقصوص أما الثانية فهي جمع قصة التي تُكتب.

---

[1]- ابن منظور : لسان العرب ، ص341.

[2]- ينظر : مجمع اللغة العربية ، معجم ألفاظ القرآن الكريم ، طبعة 1988 ، ج1 ، ص900.

[3]- محمد بن علي المُقري الفيومي : المصباح المنير ، تحقيق : عبد العظيم الشناوي ، دار المعارف ، القاهرة ، ط2 ص506.

[4]- الطاهر أحمد الزاوي : مختار القاموس ، دار العربية للكتّاب ، د ط ، ص503.

[5]- ابن منظور : لسان العرب ، ص342.

ونحن حين ننظر في المعنى اللغوي للقصة نرى أنَّ أصل اشتقاقها يتلاقى مع المفهوم الذي قام عليه أصل التسمية فالقِصة مشتقة من القص وهو تتبع الأثر[1].

ثانيا : القصة اصطلاحا

تعتبر القصة "وسيلة للتعبير عن الحياة أو قطاع معين من الحياة يتناول حادثة واحدة أو عددًا من الحوادث بينها ترابط سردي ويجب أن تكون لها بداية ونهاية"[2] كما أنها "أحدوثة شائقة مروية أو مكتوبة ، يُقصد بها الإمتاع أو الإفادة"[3]. إذن فالقصة وسيلة من وسائل التعبير في الحياة مروية كانت أو مكتوبة تتخذ شكلا معينا والهدف منها الإمتاع وإفادة القارئ وهي قديمة في نشأتها قدم التاريخ نفسه.

وقد سبقت الملحمة والأسطورة والمسرحية وهي أصل لها والإنسان بطبعه يميل إلى سرد حكاياتٍ جرت معه مند القِدم ، ثم انفصلت القصة عن الأجناس الأدبية المذكورة لتأخذ طابَعها الخاص ، وغالبًا ما تكون نثرية ، ونادرًا ما تُلقى شعراً[4] .

وللقصة شروط فنية "أساسُها العقدة أو الحبكة ، ولها عرض وخاتمة ، ويجب أن يكون الأسلوب فيها مناسبًا للأبطال والأحداث ، وهي تعتمدُ أساسا على السرد والوصف"[5] ومن مميزات القصة أنَّها "تقوم على سرد الحوادث وروايتِها بأسلوبٍ خاص له مميزاتُه يتباين إلى فيه المؤلفون في طريقة العرض والسَرد للأحداث واختيار الألفاظ وصياغة المعاني إلى غيرِ ذلك من المميزات"[6].

---

[1]- عبد الكريم الخطيب : الإعجاز في دراسات السابقين ، دار الفكر العربي ، ط1 ، 1974 ، ص44.

[2]- محمود السيد حسن مصطفى : الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية ، تقديم : حسن عون ، مؤسسة شباب الجامعة ط1 ، 1981 ، ص10.

[3]- حيدر عبد النور : المعجم الأدبي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط1 ، 1979 ، ص212.

[4]- التونجي : المعجم المفصل في الأدب ، دار العلمية ، ط2 ، 1999 ، ج1 ، ص707.

[5]- ينظر : التونجي ، المرجع نفسه ، ص707.

[6]- محمود السيد حسن مصطفى : الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية ، ص707.

والقُصَّاص هم : رواة أخبار وقصص يروون ما عِندهم على الناس ، وما عندهم من أخبار الأمم البائدة[1]. ويبقى الغرض من فن القص "الترويح عن النفس بما يتضمَّنه من لهو وما يحتويه من تثقيف للعقل وتهذيب للخُلق بالحِكمة والموعظة الحَسنة"[2] .

وأمَّا أهمية القصة فتنحصر في حِكاية الأحداث لإثارة اهتمام القارئ والمستمع وذلك بالكشف عن خبايَا النفوس ومكنوناتِها ، والبراعة في التصوير ورسم الشخصيات[3].

والقصة الفنية عادةً ما يطغى عليها الجانب العاطفي وبذلك تُخاطب الشعور والوجدان بخلاف القصة القرآنية التي تنفُد إلى أعماق النفس فلا تتوقف عند معالم الأحاسيس والوجدانات بل تخاطب العقلَ وتكون بذلك أقرب إلى الواقع منه إلى الخيال[4] وما نستطيع أن نستخلصه هنا أنَّ القصة الفنية هي وليدة الخيال والعواطف والانفعالات وهي تخاطب الشعور الوجدان.

فقد اعتادت القصة الفنية الأدبية قديمًا وحديثا أن لا تقف عند الحقيقة التاريخية وحدَها بل كانت تعتمد على كثير من الخيال الذي من شأنِه أن يُلون الأحداث بغير ألوانِها ، ويُغيِّر في صورها وأشكالها ؛ وذلك من أجل أن تبدو الأحداث مختلفة في وجوهها عن ما ألِفه الناس أن يروه لجلب الإثارة والتشويق[5].

وهذه النماذج من التعريفات الاصطلاحية للقصة تصبُّ كلها في جيد واحد إنَّها سرد لحادثة أو أحدوثة تقوم بها شخصيات في زمان ومكان معينين في الغالب تُفرز لنا عواطف وحوارات فيما بينها ، وتهيمن عليها الشخصية الرئيسية أو ما يُعرَف بالبطل

---

[1] - التونجي : المعجم المفصل في الأدب ، ص 705.

[2] - مجدي وهبة : معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ط2 ، 1984 ، ص289.

[3] - ينظر : مجدي وهبة ، المرجع نفسه ، ص289.

[4] - ينظر : محمود السيد حسن مصطفى ، الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية ، ص14.

[5] - ينظر : عبد الكريم الخطيب ، الإعجاز في دراسات السابقين ، ص39.

وتكون لها بداية ونهاية مع مسارات تسير عليها الحوادث وتخضَع لهيكلة محددة من انتظام في عناصرها الفنية[1].

المبحث الثاني : مفهوم القصة القرآنية

القصة في القرآن ليست عملاً فنيا مستقلاً في موضوعه وطريقة عرضه وإدارة حوادثه كما هو الشأن في القصة الفنية الحرة ، التي ترمي إلى أداء غرض فني طليق إنَّما هي وسيلة من وسائل القرآن الكثيرة إلى أغراضه الدينية والقرآن كتاب دعوة دينية قبل كل شيء والقصة إحدى وسائله لإبلاغ هذه الدعوة وتثبيتِها شأنُها في ذلك شأن الصور التي يرسمها للقيامة وللنعيم والعذاب ، وشأن الأدلة التي يسوقُها على البعث وعلى قدرة الله وشأن الشرائع التي يُفصِّلها والأمثال التي يضربِها[2].

وقد قصَّ علينا القرآن كثيرًا من قصص السابقين فمنها ما يتعلق بقصص الأنبياء وغير الأنبياء ومنها ما يتعلق بقصص المؤمنين والكافرين ، وقد بيَّن من ذلك الحكمة من إيرادها والعبرة والموعظة التي يمكن أن نستخلصها منها[3].

والقصة القرآنية كُلها تتَّبع وعرض لأحداث ماضية واقعة مضى بها الزمن وكأنَّها وثيقة تاريخية تستعرض لنا أشخاصا وما يتصل بهم من أحداث وأماكن وأزمنة ، وهي محكمة البناء تبين حقيقة مطلقة لا تفتح للخيال مجالاً ولا يطوف بها شيء منه وقد سمَّى القرآن كل ما جاء على هذا النحو قصَصًا ، فيقول سبحانه وتعالى مخاطبا الرسول

---

[1]- جاسم محمد حسين نطّاح : النقد الأدبي في الدراسات القرآنية ، دار الحامد ، الأردن ، عمّان ، ط1 ، 2013 ص104.

[2]- سيد قطب : التصوير الفني في القرآن ، دار الشروق ، القاهرة ، ط11 ، 1989 ، ص143.

[3]- ينظر : صلاح عبد الفتّاح الخالدي ، مع قصص السابقين في القرآن ، دار القلم ، دمشق ، ط1 ، 1988 ، ج1 ص17.

صلى الله عليه وسلم : ﴿**نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ**﴾[يوسف : 3] ، ويقول أيضا : ﴿**إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ**﴾[آل عمران : 62][1].

وبهذا كان لفظ القَصَص يختص بكل ما وقع من أخبار وأنباء الأمم السابقة وما كان بينها من صراع بين الخير والشر فكان بحق أحسن القَصَص تعبيرًا عن واقع الحال "فالقرآن حديثٌ عن الواقع والمستقبل ، إنَّه ليس رجمًا بالغيب ، ولا خيالا من الخيالات ولا حُلما من الأحلام ، ولكنَّه الصدق المصفى والحق المبين ، فلم يلتبس به الخيال إنَّه واقعة حقيقية اشتملت على الإثارة والتشويق والموعظة والعِبرة لأولي الألباب كما عبَّر عنها القرآن"[2].

إذنْ فهو ليس مجرد أحداث وقعت ورُويت ، بل أحداث حية تتحرك وتتفاعل وتنمو لتُثمر عبرًا وعظات تشتهيها الأنفس ، وتُنار بها العقول وهي صالحة لكل زمان ومكان[3].

احتلت قصص الأنبياء موقعًا أو جانبا كبيرا من القرآن واختصت بمجموعة من السور يحملُ بعضها اسم واحدٍ من هؤلاء الأنبياء فكان منها سورة الأعراف ، ويونس وهود ويوسف ، وإبراهيم ، ومريم ، والكهف ، وطه والشعراء والنمل ، والقَصص والعنكبوت وغيرُها الكثير ، ولا ننس سورة الأنبياء التي جاءت مسماة باسمهم[4].

والقرآن الكريم لم يقص علينا أحداث جميع الأنبياء والرسل مع أمَمهم ، بل حكى لنا قصص البعض دون الآخر ، كما أفادت تلك الآية الكريمة : ﴿ **وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلاً لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا**﴾[النساء : 164] ، وقوله :

---

[1]- ينظر : عبد الكريم الخطيب ، القصص القرآني في مفهومه ومنطوقه ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ط2 1975 ، ص40.

[2]- ينظر : عبد الكريم الخطيب ، المرجع نفسه ، ص48 و49.

[3]- ينظر : عبد الكريم الخطيب ، المرجع نفسه ، ص45.

[4]- ينظر : محمد قطب ، دراسات قرآنية ، دار الشروق ، القاهرة ، د ط ، ص99.

﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ**﴾ [غافر : 78][1].

والقَصَص القرآني لا يعرض كل أحداث واقعةٍ في الحياة ، وإنَّما ينتقي أحداثا ووقائعَ تتجلى منها العبرة والموعظة تكونُ ذات قيمة خادمة للدعوة الإسلامية داعية إلى الله بالموعظة الحسنة ولا يهتم إن كان الحدث عاليا مدويًا ، أو عاتيا قوي الدلالة بل يطمَح إلى تِبيان الصدق الخالص والحق المبين الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه من خلال الفَلك الذي تدور حوله الشخصيات والزمان والمكان ، وتِلك العبرة ثمرة طيبة قطوفها دانية تشتهيها كل نفس[2].

وقد استعمل القرآن الكريم كلمتَي خبر ونبإ للتعبير عن تلك الأحداث والوقائِع الماضية رغم ذلك الاختلاف بينهما في مجال الاستعمال.

فكانَ النبأ والأنباء تعبيرا أو إخبارًا عن الأحداث البعيدة في الزمان والمكان وكان الخبر والإخبار كشفا وتعبيرًا عن الوقائِع القريبة العهد بالوقوع والتي بَقيت ماثِلة للعيان وفي النبأ يقول سبحانه وتعالى عن أصحاب الكهف : ﴿**نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ**﴾[الكهف : 13] ، ويقول أيضا في شأن الأمم الماضية وما وقعَ فيها من وقائِع ﴿**ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ**﴾[هود : 100] ، وفي الخبر والأخبار يقول : ﴿**يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا**﴾[الزلزلة : 4] ، والتحدث بالأخبار إنَّما يكون في هذا الوقت الذي تقوم فيه الساعة[3].

---

[1]- عمر محمد عمر باحاذق : الجانب الفني في قصص القرآن الكريم ، دار المأمون للتراث ، بيروت ، ط1 1993 ، ص35.

[2]- ينظر : عبد الكريم الخطيب ، القصص القرآني في مفهومه ومنطوقه ، ص68 و69.

[3]- ينظر : عبد الكريم الخطيب ، المرجع نفسه ، ص45 و46.

وما يُلاحَظ عن القصص القرآني أنَّ بعضه قد تكرَّر "حيث إنَّه جاء في أكثر من مَوضع في قصص بعض الأنبياء والمرسلين ، وموقِفهم من أقوامهم حينما قاموا بنشر الدعوة وتبليغ رسالة السماء ، ولعلَّ العِلة الظاهرة من هذا التكرار هو تثبيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعوته ، وحملِه على أن يصبر على إيذاء قومه وكما يقول الحق عز وجل : ﴿**فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلاَ تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ**﴾[الأحقاف : 35]"[1].

وقد تميَّز القصَص القرآني بأوصاف وتفَّرد بها وحدَه هي من وصف الله سبحانه وتعالى ولذلك نذكر منها :

1- **القَصص الحق** : وُصف بأنَّه الحق مصداقا لقوله تعالى : ﴿**إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ**﴾[آل عمران : 62] ، وقوله أيضا في سورة الكهف يصفه بالحق ﴿**نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ**﴾[الكهف : 13].

2- **أحسن القَصَص** : وُصف بأنَّه أحسن القَصَص ومن ذلك قوله تعالى مستحضرا قصة يوسف عليه السلام : ﴿**نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ**﴾[يوسف : 3] ، "ووصف القَصَص بالحسن يتحقق له إذا اتصف قبله بصفة الحق والصدق والصواب ، فالحسن مبني على الحق فإذا فقد القَصَص صفة الحق فقد تلقائيًا صفة الحسن"[2].

[1] - ينظر : عمر محمد عمر باحاذق ، الجانب الفني في قصص القرآن الكريم ، ص41.

[2] - صلاح عبد الفتّاح الخالدي : مع قصص السابقين في القرآن ، ص21.

وقصة يوسف أحسن القَصَص- وكل قصص القرآن حسن- لأنَّه يقدم البشرى والأمل للمكروبين وأصحاب الابتلاءات والمحن ، والذين يعانون آلام الاضطهاد والفتنة بأنَّ الفرج آت ، والأمل قادم ، والمحنة ستزول ، المهم هو أن يُحسنوا الإيمان بالله والتوكل عليه والثبات على صراطه ، كما حصل مع **يوسف عليه السلام**[1].

بالرغم من أنَّ القصة القرآنية سماوية المتنزَّل وإن يكن قد ذهب أشخاصها وبعد زمانها إلا أنَّها حاضرة وماثلة على أرض البشر يتجاوبون معها ويتأثرون بها ولا يُنكرون شيئا منها بل يتلقَّون منها العبرة والموعظة فما جاءت إلا لتكون عبرة لأولي الألباب وأصحاب النهى .

المبحث الثالث : خصائص القصة القرآنية

1- تكرار القصة الواحدة :

أورد القرآن الكريم قصص الأنبياء والأمم الغابرة بصورة متنوعة ما بين تفصيل وإجمال وتعميم وتخصيص ، وقد تَتَكرر القصة الواحدة في مواضع مختلفة ولكن في ظروف مختلفة وأحداث أخرى بحيث يمكن جمع ما تفرق منها في كيان قصصي واحد قام به المفسرون والقُصَّاص فيما بعد ، غير أنَّ القصة الوحيدة التي جاءت مكتملة في سورة واحدة هي قصة يوسف في سورة (يوسف)[2].

[1]- صلاح عبد الفتّاح الخالدي : مع قصص السابقين في القرآن ، ص20.

[2] - ركان الصفدي : الفن القصصي في النثر العربي ، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب ، دمشق ، طبعة 2011 ص44.

إنَّ كثيراً من جزئيات القصة القرآنية قد دار مع دوران القصة في تكرارها في السور القرآنية ولكن في جمال عرض ، وإجلاء للمعاني وقوة وتبيان ؛ ولعل ذلك راجع إلى تنوع أسلوب القصة ، فقد كانت تارة تميل في جزئية من جزئياتها إلى الإطناب وتميل تارة أخرى للإيجاز[1].

وقصة موسى **عليه السلام** هي أشد القصص تكرارا في القرآن الكريم ، فقد وردت في حوالي ثلاثين موضعًا ، وهي تُعطي فكرة جيدة عن التكرار ، وتعد مثالاً للقصص الأخرى التي تتكرر لكن ليس بقدر تكرارها[2].

فإنَّ هذا التكرار طريق من طُرق تأكيد المعنى في النفس واستقرارها في خواطر القارئ والسامع ، فكل قصة قرآنية قد تكررت اتَّحدت أهدافها واتفقت غاياتها ، فهي وإن تكرَّرت إلا أنَّها تشير إلى غاية واحدة وهي الصراع بين الحق والباطل وتكرارُها يُرَسخ الغاية في الذهن فتكون أصدق وأمثل في الواقع[3].

ونستثني من ذلك قصَّة سليمان **عليه السلام** مع الهدهد وملكة سبإٍ لأنَّها لم تتكرر وذلك لأنَّ النبي **صلى** الله **عليه وسلم** لم تكن له ملابسات نبي الله سليمان **عليه السلام** ، فسليمان عبد وملك رسول قال : ﴿**رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لاَ يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ**﴾[ص : 35] ، والنبي محمد عبد رسول ، فأحداث سليمان ذاتية وخاصية فردية وهي أنباء سِيقت للإخبار[4].

---

[1] - ينظر : عمر محمد عمر باحاذق : الجانب الفني في قصص القرآن الكريم ، ص63.

[2] - ينظر : سيد قطب ، التصوير الفني في القرآن ، ص156.

[3] - ينظر : عمر محمد عمر باحاذق ، المرجع السابق، ص71.

[4] - ينظر : عمر محمد عمر باحاذق ، المرجع السابق ، ص53.

2- **اختيار أجزاء من القصة** :

إنَّ خضوع القصة للغرض الديني يجعلُها "تُعرض بالقدر الذي يكفي لأداء هذا الغرض ومن الحلقة التي تتفق معه ، فمرةً تُعرض القصة من أولها ، ومرة من وسطها ومرة من آخرها ، وتارة تُعرض كاملة وتارة يكتفي ببعض حلقاتها ، وتارة تتوسط بين هذا وذاك حسبما تكمن العبرة في هذا الجزء أو ذاك ، ذلك أنَّ الهدف التاريخي لم يكن من بين أهداف القرآن الأساسية كالهدف القصصي ، فسارت القصة وهدفها الأول هو الهدف الديني"[1] والذي يتتبَّع القصة القرآنية يجدُ في ثناياها تعقيبا دينيًا يتماشى والعبرة فيها فالغرض الأساسي هو الغرض الديني ومن أجله جاءت القصة.

فتجزئة وقائع القصة الواحدة يكون "بحسب ما يُستفاد من كل واقعة من عِبر وعظات فيكون في ذلك فائدة تجَنب التطويل في الحكاية الذي يخرُج بالقصص عن معنى الاعتبار فحيثما أحوج المقام إلى عبرة من واقعة ساقها النظم وطوى غيرها من الوقائع"[2].

3- **الإيجاز المعجز** :

وذلك يكمن فيما "أورَده القرآن الكريم من أخبار وأنباء تتعلق بالأمم السابقة وأحاديث الرسل– **عليهم الصلاة والسلام**- والأيام الغابرة"[3]. فكان ذلك الإيجاز في عرض الأحداث القصصية بألفاظ موجزة مع إصابة المعنى.

---

[1]- سيد قطب : التصوير الفني في القرآن ، ص162.

[2] - أسامة عبد العظيم حمزة : القصص القرآني وأثره في استنباط الأحكام ، ط1 ، 1997 ، ص15.

[3]- محمد أحمد خلف الله : الفن القصصي في القرآن الكريم ، سينا للنشر ، القاهرة ، ط4 ، 1999 ، ص130.

وقد غُلِّبَ على القصة القرآنية من حيث نَظمها أسلوب الإيجاز ليتبيَّن فرق كلام الله من كلام البشر ، قال القرطبي : ذكر الله أقاصيص الأنبياء – في القرآن- وكرَّرها بمعنى واحد في وجوه مختلفة وبألفاظ متباينة ، على درجات البلاغة والبيان وذكر قصة يوسف – عليه السلام– ولم يكررها ، فلم يقدِر مخالف على معارضة المكرَر ولا على معارضة غير المكرر والإعجاز واضح لمن تأمَّل[1].

فالإعجاز واضح في أسلوب القصة القرآنية ولكن لمن تأمَّل وتدبر ، قال سبحانه وتعالى : ﴿**قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا**﴾[الإسراء : 88].

4- **الصدق والواقعية** :

هيمنة الصدق على موضوعات القصة وأحداثها ، وبثِّها له في أحاسيس النفس البشرية توجيها وتقويما وإيماءً بعيدا عن الأساطير والخرافات والأكاذيب ، أمَّا صدق القصة فنابع من أصل اشتقاقها في لسان أهل اللغة ، فتتبُّع الأثر الذي هو أصل اشتقاقها ينفي أي تخييل أو تلفيق أو تصوير لما لم يقع[2].

5- **المعجزات والخوارق** :

من خصائص القصَّة القرآنية اشتمالها على المعجزات والخوارق ، فكل رسول بَعث الله له معجزة تشهد على صدقه[3].

---

[1]- ينظر : أسامة عبد العظيم حمزة ، القصص القرآني وأثره في استنباط الأحكام ، ص16.

[2]- أسامة عبد العظيم حمزة : المرجع نفسه ، ص 15 و16.

[3]- محمد أحمد خلف الله : الفن القصصي في القرآن الكريم ، ص130.

المبحث الرابع : أنواع القصة القرآنية

المطلب الأول : القصة التاريخية

استخدم القرآن- في أغراضه الدينية البحتة- كل أنواع القصة ، القصة التاريخية الواقعية المقصودة بأماكنِها وأشخاصها وحوادثها ، والقصة الواقعية التي تَعرض أنموذجا لحالة بشرية ، فيستوي أن تكون بأشخاصها الواقعيين أو بأي شخص يتمثل فيه ذلك الأنموذج ، والقصة المضروبة للتمثيل ، والتي لا تمثل واقعة بنفسها ولكنَّها يمكن أن تقع في أية لحظة وأي عصر من العصور[1].

والقصة التاريخية هي تلك الأحداث والمواقف التي تدور حول الشخصيات التاريخية من أمثال الأنبياء والمرسلين ، والذي يعتقد الأقدمون أنَّ الأحداث القصصية فيها هي أحداث تاريخية[2].

والقرآن دائم الإشارة إلى الأمم الخالية داعيًا إلى الاتعاظ منها والاعتبار من تجارب البشر في حاضرهم ، فيقول سبحانه وتعالى مذكِّرا بالأمم الخالية ﴿**قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ**﴾[آل عمران : 137][3].

وعادة ما يُقتَرن التاريخ بأيام الله فانظر إلى قوله جل وعلا شأنه مذكرا بالأحداث الماضية وخاصة ما حدث بين الأنبياء وأقوامهم : ﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ**﴾[إبراهيم : 5].

---

[1]- محمد قطب : منهج الفن الإسلامي ، دار الشروق ، القاهرة ، ط4 ، 1980 ، ص158.

[2]- محمد أحمد خلف الله : الفن القصصي في القرآن الكريم ، ص152.

[3]- سعيد عطية علي مطاوع : الإعجاز القصصي في القرآن ، دار الآفاق العربية ، القاهرة ، ط1 ، 2006 ص43.

ويقول أيضا : ﴿**إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ**﴾ [آل عمران : 140].

إنَّ هذا النوع من القصص يأخذ القرآن موادَه من أحداث التاريخ ووقائعه لكنَّه يعرِضها عرضا أدبيًا ويسوقُها سوقا عاطفيًا يُبيِّن المعاني ويؤيد الأغراض ويؤثر بها التأثير الذي جعل وقعها على الأنفس وقعًا كبيرا يُثير الوجدان[1].

بالرغم من أنَّ القصة التاريخية في القرآن لم تكن عرضا تاريخيًا بالمعنى المعروف لكنَّها حجة لا تقبل الطعن في إثبات ما تقص من وقائع تاريخية ، وفي القرآن إشارات لا تخلو من بذور التاريخ وفلسفته ، وعلى الدارس أن يتعمَّق في فهم معانيها وأسبابها ونتائجها ويتعمق في فهم الحكمة منها ، والقرآن لم يقتصر على عرض لوحات مجردة لماضي الإنسانية في صراع قوى الخير مع قوى الشر وإنَّما الهدف هو بعث المثال من التاريخ لإثارة الوجدان بالهداية والإيمان وتقصي القيم التربوية والإيمانية[2].

فالقرآن يختار موادَه التاريخية ما يُحقق الغرض ويوفي بالقصد والغاية منها فانظر قوله تعالى مذكرا بالأمم الخالية : ﴿**كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ** ﴿١٨﴾ **إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ** ﴿١٩﴾ **تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ** ﴿٢٠﴾﴾[القمر: 18-20].

فالقصة التاريخية في القرآن لم تأت إلا لتبُثَّ ولتؤكد حقيقة تاريخية ، من خلال عرضها لتلك الأحداث التاريخية فإنَّها تهدف إلى بعث المثال من التاريخ واستحضار شخصيات طواها الزمن من أجل العبرة والموعظة.

---

[1]– ينظر : محمد أحمد خلف الله ، الفن القصصي في القرآن الكريم ، ص156.

[2]- ينظر : سعيد عطية علي مطاوع ، الإعجاز القصصي في القرآن ، ص49 و50.

فالقرآن هنا قد تخلَّى عن كثير من التفصيلات فلم يذكُر عن قوم عاد شيئًا قبل التكذيب ولم يذكر عن هود شيئا وهو الرسول الذي كذَّبه قومه ، كما لم يذكر صفة قوم عاد ولم يتحدث عن بيوتها ومساكنها ولا ذكر شيئا عن ما جرى من أحداث بين هود وقومه من جدل أو حوار بل سارع إلى وصف العذاب وقد صوَّره في أقوى عبارة تهُز العواطف وتثير الانفعال فقد أحسن وصف الريح بالصرصر وهناك النحس المستمر وقوة الريح التي تنزع الناس كأنَّهم أعجاز نخل منقعر[1].

كان الهدف من استحضار هذه الحادثة التاريخية أن يبُثَّ في نفوس المعاصرين للنبي صلى الله عليه وسلم الخوف من العذاب ، فاكتفى بهذا التصوير القوي واستغنى حينها عن كثير من التفصيلات فجاءت الأحداث موجزة وأدت غرضها وبصورة قوية ومعجزة[2].

إنَّ التفاصيل التاريخية ليست من المقاصد التعليمية في قصص القرآن لأنَّ قُرب الحادثة أو بُعدها في الزمان والمكان ، لا يؤثر فيما تحمل من عبر مادامت تلك الحوادث نابعة من غرائز الإنسان ، مرتبطة بكيانه من نوازع الاستقامة والانحراف قائمة عن طريق الإنسانية لا تتغير في جوهرها بتغير الأجيال ، فالقرآن الكريم لا يذكر قصة لبيان تاريخ حدوثها ، ولا لأجل التفكه بها ، أو الإحاطة بتفاصيلها وإنمَّا لأجل العبرة والعظة قال تعالى : ﴿**لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ**﴾[يوسف : 111][3].

المطلب الثاني : القصة التمثيلية

وهي القصة التي تضرب مثلاً أو تجيء تمثيلاً وهي تحتل موقعا كبيرا في سور القرآن الكريم وهي من التمثيل[4].

---

[1]- ينظر : محمد أحمد خلف الله ، الفن القصصي في القرآن الكريم ، ص154.

[2]- ينظر : محمد أحمد خلف الله ، المرجع نفسه ، ص154.

[3] - سعيد عطية علي مطاوع : الإعجاز القصصي في القرآن ، ص43.

[4] - ينظر : محمد أحمد خلف الله ، المرجع السابق ، ص182.

ومن أبدع القصص التمثيلي في القرآن قصة صاحب الجنتين لما فيها من تشخيص حي للمشاهد يُقِر عنه التعبير في أسلوب تمثيلي راق ، والقصة تضرب مثلا للقيم الزائلة والقيم الباقية ، وترسم أنموذجين واضحين للنفس البشرية ، فصاحب الجنتين أنموذج للرجل الثري تُذهله الثروة ، فيبطر النعمة ويحسبها لا تفنى وصاحبه أنموذج للرجل المؤمن المعتز بإيمانه يرى النعمة من عند الخالق المنعِم على عبده فيشكر ولا يكفر[1] ولنستعرض معا بعض ما وقع من أحداث وما كان بين الرجلين من حوار ، قال تعالى :

﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آَتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً ﴿٣٧﴾ لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلاَ أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴿٣٨﴾﴾[الكهف : 32- 38] . "ولعل من القصص التمثيلي كل قصة أعرض القرآن فيها عن ذكر البطل فأهمله أو أخفاه"[2].

المطلب الثالث : القصة الواقعية

وهي التي تعرض أنموذجا لحالة بشرية ، فيستوي أن تكون بأشخاصها الواقعيين أو بأي شخص يتمثل فيه ذلك الأنموذج[3].

[1]- ينظر : سعيد عطية علي مطاوع ، الإعجاز القصصي في القرآن ، ص 54.

[2]- محمد أحمد خلف الله : الفن القصصي في القرآن الكريم ، ص198.

[3]- محمد قطب : منهج الفن الإسلامي ، ص157.

ومن أمثلة ذلك ما حدث بين ابني آدم عليه السلام في قوله تعالى :

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَىٰ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴿٣١﴾﴾[المائدة : 27- 31] .

هذه القصة تقدم أنموذجًا لطبيعة الشر والعدوان ، ومن ذلك العدوان الصارخ الذي لا مبرر له ، كما تُقدم أنموذجا لطبيعة الخير والسماحة والطيبة والوداعة ، فجاءت القصة بأسلوب تصويري من خلال رسم الشخصيتين ، فيقفان موقفين متباينين ثم ينطلق ذلك الحوار ليُعبر عن المعاني من خلال نفسيتهما ، فيُحس القارئ بعمق هذه القصة ، والجانب الإقناعي فيها لعمق الإيحاء الذي يؤثر في النفس البشرية فكانت موقفا يرسم جرائم الاعتداء على النفس والوقوع في الخطيئة التي حرَّمها الإسلام وهي قتل النفس[1].

فهذه القصة الواقعية لن يضيع أثرُها على النفس ، ولن تنطفئ شُعلتها التي تنير النفوس الحائرة ، إذ إنَّ النفوس البشرية تسكن إليها لأنَّها حقيقة ، وتطمئن لها لكي تقف على نهايتها لتعرف نهاية الصالح وعاقبة الطالح ، وهي ليست كالأحداث الوهمية الخرافية التي تنفر منها النفوس ، ولا نجد العبرة منها في شيء[2].

[1]- ينظر : سعيد عطية علي مطاوع ، الإعجاز القصصي في القرآن ، ص51.

[2]- ينظر : عمر محمد عمر باحاذق ، الجانب الفني في قصص القرآن الكريم ، ص149.

المبحث الخامس : أغراض القصة القرآنية وأهدافها

سِيقت القصة في القرآن لتُحقق أغراضًا دينية بحتة ومن هذه الأغراض عدد وفير من الصعب استقصاؤه ، لأنَّه يكاد يتسرب إلى جميع الأغراض القرآنية ، فإثبات وحدانية الله والوحي والرسالة ، وتوَحد الأديان ، والإنذار والتبشير والعاقبة ، والشكر والبطر كلها أغراض دينية تناولتها القصة القرآنية وكانت أداة وسبيلا لها[1]. "ونُحدد الوضع فنقول أنَّ الغرض هنا هو المقصد الذي من أجله نزلت القصة القرآنية وهو الذي من أجله بُنيت على صورة خاصة وعُرضت بأسلوب خاص"[2].

1- إثبات الوحي والرسالة :

فمحمد صلى الله عليه وسلم لم يكن كاتبًا ولا قارئا ، ولا عُرف عنه أنَّه يجلس إلى أحبار اليهود والنصارى ، ثم جاءت هذه القصص في القرآن– وبعضها جاء في دقة وإسهاب- كقصص إبراهيم ويوسف وموسى وعيسى ، فورودها في القرآن اتَّخذ دليلاً على وحي يُوحى .. والقرآن ينص على هذا الغرض نصًا في مقدمات بعض القصص أو ذيولها[3] ، ومن ذلك قوله تعالى في سورة يوسف :

﴿**إِنَّ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ** ﴿٢﴾ **نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ** ﴿٣﴾﴾[يوسف : 2- 3] . وقوله أيضا في سورة هود : ﴿**تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلاَ قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ**﴾[هود : 49] .

---

[1]- سيد قطب : التصوير الفني في القرآن ، ص144.

[2]- محمد أحمد خلف الله : الفن القصصي في القرآن الكريم ، ص226.

[3]- سيد قطب : المرجع السابق ، ص145.

2- بيان أنَّ الدين كله من عند الله :

فالدين كله من عند الله ، والمؤمنون كلهم أمة واحدة والله واحد ورب الجميع فقد وردت قصص عدد من الأنبياء في سورة واحدة لإثبات هذه الحقيقة وتوكيدها في النفوس[1].

قال تعالى : ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ**﴾[الأنبياء : 48] وقوله أيضا : ﴿**وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلاًّ آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴿٧٩﴾**﴾[الأنبياء : 78- 79] .

3- بيان أنَّ الدين كله موحد:

من أهداف القصص القرآني إبراز حقيقة عقيدية هامة تَبرُز من خلال السرد التاريخي هي أنَّ الأنبياء والرُسل **عليهم صلوات** الله **وسلامه** جاءوا بكلمة واحدة وقضية واحدة على تتابُع الأجيال وهي لا اله إلا الله وقضية اعبدوا الله مالكم من إله غيره[2] ، فجميع الأنبياء جاءوا برسالة واحدة وهي دين التوحيد وعبادة الله الواحد الذي لا إله غيره مصداقا لقوله تعالى في سورة الأعراف :

﴿**لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ**﴾[الأعراف : 59] ، ﴿**وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلاَ تَتَّقُونَ**﴾[الأعراف : 65] .

---

[1]- ينظر : سيد قطب ، التصوير الفني في القرآن ، ص147.

[2]- محمد قطب : دراسات قرآنية ، ص102.

4- **تثبيت فؤاد النبي** صلى الله عليه وسلم وتخفيف ما أصابَه من قومه ، وحثِّه على الاقتداء بإخوانه ، وتبشيره بأنَّ العاقبة الطيبة ستكون له ، مصداقا لقوله تعالى : ﴿**وَكُلاًّ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ**﴾[هود : 120][1] ، وأيضا تبشيره بالنصر القريب في قوله ﴿**وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ**﴾[الأنعام : 34] .

5- **الدعوة إلى الإيمان ومكارم الأخلاق** وبيان عاقبة المتقين وسوء مغبة المفسدين بسوق الأدلة على التوحيد من خلال أحداث القصة ، سوقًا يجعله يسري إلى النفس من غير مقاومة[2].

6- **التدبُّر والتفكر** :

إنَّ سماع قَصَص القرآن والوقوف أمامه وتدبره ، يقودُ إلى التفكير ، والتفكير عملية عقلية يُعمل بها الإنسان فكره ، ويُشغل عقله فيقف على مواطن العظة والعبرة[3].

7- **بيان نعمة الله على أنبيائه** :

بيان نعمة الله على أنبيائه وأصفيائه ، كقصص سليمان وداود وأيوب ، وإبراهيم ومريم وعيسى ، وزكريا ويونس وموسى ، فكانت ترِد حلقات من قصص هؤلاء الأنبياء تَبرُز فيها النعمة في مواقف شتى ، ويكون إبرازها هو الغرض الأول ، وما سواه يأتي في هذا الموضع عرضا[4].

---

[1]- ينظر : محمد سيد طنطاوي ، القصة في القرآن الكريم ، دار نهضة مصر ، ط1 ، 1996 ، ج1 ، ص7.

[2]- أسامة عبد العظيم حمزة : القصص القرآني وأثره في استنباط الأحكام ، ص19.

[3]- صلاح عبد الفتّاح الخالدي : مع قصص السابقين في القرآن ، ص24.

[4]- سيد قطب : التصوير الفني في القرآن ، ص 154.

8- **عبرة لأولي الألبـــاب** :

إنَّ قصص القرآن كنزُ لا ينفد ، ومعين لا ينضب في دروسه ودلالاته وعبَره ، في الإيمان والعقيدة ، وفي العمل والدعوة ، وفي الجهاد والمواجهة ، وفي المنطق والأسلوب وفي الصبر والثبات ، وفي الموازين والحقائق لقوله تعالى : ﴿**لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ**﴾[يوسف : 111][1] ، فمن خلاله نأخذ العبرة والموعظة.

9- **التحذير من غواية الشيطان** :

كان من أغراض القصة تنبيه أبناء آدم إلى غواية الشيطان وإبراز العداوة الخالدة بينه وبينهم مند أبيهم آدم ، وإبراز هذه العداوة عن طريق القصة أروع وأقوى وأدعى إلى الحذر الشديد من كل هاجسه في النفس[2].

إنَّ اشتمال القرآن الكريم على هذه الوفرة الغزيرة من القصص الواعي المحكم ليدُل على الأهمية الكبيرة والمكانة العظيمة للقصة القرآنية ، وقيمتها في التوجيه النفسي وفي الهداية إلى الحق والى الطريق المستقيم[3].

نظرًا لأهمية القصة أمر الله الرسول **صلى** الله **عليه وسلم** بأن يقصها على الناس لنشر الدعوة ، وترسيخ الإيمان ، وضرب النماذج الإنسانية فقال سبحانه وتعالى : ﴿**فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ** ﴿١٧٦﴾ **سَاءَ مَثَلاً الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ**﴿١٧٧﴾﴾[الأعراف : 176- 177][4].

---

[1] - صلاح عبد الفتّاح الخالدي : مع قصص السابقين في القرآن ، ص29.

[2] - سيد قطب : التصوير الفني في القرآن ، ص154.

[3] - سعيد عطية علي مطاوع : الإعجاز القصصي في القرآن ، ص119.

[4] - صلاح عبد الفتّاح الخالدي : مع قصص السابقين في القرآن ، ص23.

إذا كان القَصَص القرآني ذا طبيعة خاصة جدا ، يلتبس فيه الهدف الديني بالشكل الفني فإنَّه كان الباب الواسع الذي عبَرت منه معظم الأشكال القصصية فيما بعد ولعَّل سمة التكثيف والاختصار دفعت القُصاص إلى التَحرك بحرية في عالم الخيال لملأ الفراغات التي تركَها القَصَص القرآني[1].

وفي ختام هذا الفصل أستطيع القول بأنَّ القرآن الكريم قد سلك منهجا خاصًا في عرض قصصه ، فهو يأخذ فقط ما يناسب وموقع العبرة والموعظة ، مما يثير في المتلقي انفعالا كبيرا يجعله يشترك في أحداث القصة ، فيتأثر بها وجدانيا وعاطفيا.

[1]- ركان الصفدي : الفن القصصي في النثر العربي ، ص46.

الفصل الأول

القصة القرآنية

عناصرها وفنياتها

قال تعالى :

﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٧﴾ اذْهَب بِّكِتَابِي هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا نَحْنُ أُولُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٣٧﴾ قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ

وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾[النمل : ٢٠ - ٤٤].

المبحث الأول : العناصر الفنية في قصة سليمان عليه السلام

جاءت العناصر الفنية في القصة القرآنية محكمة البناء لا يمكن الفصل بينها فتباينت في طريقة عرضها وصياغة معانيها عما ألفناه في القصة الأدبية الحرة ، وتفاعلت فيما بينها لتنتج لنا طابعا قصصيا فريدا ، وهذا تماما ما لمسناه في قصة سليمان عليه السلام مع الهدهد وملكة سبإٍ ، لذلك سنحاول أن نتطرق إلى أهم هذه العناصر ونبرز فنياتها.

المطلب الأول : الشخصية وبناء الحدث

1- **الشخصية** :

إذا كان الحُكم على الشخصية يتم من خلال التعرف على تصرفاتها وعاداتها ، فإنَّ المُتتَبع للقصص القرآني يستطيع أن يتعرَّف على شخصياته ويحكُم عليها من خلال أحداثها لأنَّ الحُكم على الشيء فرع من تصوره[1].

فإنَّ "كل شخصية من شخصيات القصة القرآنية لها دورها البارز في القصة وهي تتفاعل تفاعلا تامًا مع سائر الشخصيات الأخرى ، بحيث نحس بأنَّ هناك سلكا منتظما يجمَع هذه الشخصيات ذات الأواصر القويَّة ، وهو الذي يُعرف ببطل القصة يرتبط بجميع الشخصيات ارتباطا وثيقا"[2].

ولن نقصُر هنا الحديث عن الشخصيات الأناسي من عباد الله فحسب ، وإنمَّا نقصد كل شخصية وقعت منها أحداث وصدرت عنها عبارات وأفكار وأدت دورا ايجابيًا في القصة وعلى هذا سيكون منها : الطيور والجن والأناسي من رجال ونساء[3].

---

[1]- ينظر : عمر محمد عمر باحاذق ، الجانب الفني في قصص القرآن الكريم ، ص111.

[2]- عمر محمد عمر باحاذق : المرجع نفسه ، ص128.

[3]- ينظر : محمد أحمد خلف الله ، الفن القصصي في القرآن الكريم ، ص287.

والآن نتطرق إلى أهم الشخصيات الواردة في قصة سليمان **عليه السلام** مع الهدهد وملكة سبإ ، ولذلك وجب تقسيمها إلى رئيسية وثانوية :

1- الشخصيات الرئيسية : منها شخصية سليمان **عليه السلام** ، وشخصية الهُدهد طائر سليمان وأخيرا شخصية ملكة سبإ صاحبة العرش ، وعادة ما تكون الشخصية الرئيسية "شخصية يتمحور عليها الحدث والسرد"[1]. فهذه الشخصية هي "التي تقود الفعل وتدفعه إلى الأمام"[2].

2- الشخصيات الثانوية : ملأ سليمان **عليه السلام** ومنهم :(شخصية عفريت من الجن كما ورد في الكتاب ، وشخصية الذي عنده علم من الكتاب) ، ملأ ملكة سبإ.

2- **الأحــداث** :

أ- **طريقة العرض** :

بعد التعرُّف على أهم الشخصيات الواردة في قصة سليمان **عليه السلام** نأتي إلى عرض أهم أحداثها وتطورها "والصلة بين الحوادث والشخصيات في القصة أقوى من أن يُدَلل عليها أو يُلْفت الذهن إليها ذلك لأنَّهما العنصران الرئيسيان في كل قصة ، ثم نحن لا نستطيع أن نتصور شخصا من غير أحداث تُلِم به أو تقَع عليه"[3]. "فالحوادث التي اشتمل عليها القَصَص القرآني إنمَّا هي قطَع من أحداث الحياة جاء بها القرآن وبعثها من الماضي البعيد أو القريب كما هي دون أن يُدخِل عليها شيئا بغير حقيقة من حقائقها"[4].

---

[1]- سعيد علوش : معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة ، دار الكتِاب اللبناني ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1985 ص126.

[2] - إبراهيم فتحي : معجم المصطلحات الأدبية ، المؤسسة العربية ، د ط ، ص211.

[3] - صلاح عبد الفتّاح الخالدي : مع قصص السابقين في القرآن ، ص310.

[4]- عبد الكريم الخطيب : القصص القرآني في مفهومه ومنطوقه ، ص113.

و يرى سيد قطب أن هناك طرائق مختلفة للعرض منها :

1- "مرة يُذكر ملخص للقصة يسبِقها ثم تُعرض التفصيلات بعد ذلك من بدئِها إلى نهايتها
2- ومرة تُذكر عاقبة القصة ومغزاها ثم تبدأ القصة بعد ذلك من أوَّلها وتسير بتفصيل خطواتها.
3- ومرة تُذكر القصة مباشرةً بلا مقدمة ولا تلخيص ، ويكون في مفاجآتها معروفة مثلما هي قصة سليمان مع الهدهد وملكة سبإ"[1].

وقصة سليمان **عليه السلام** مع الهُدهد وملكة سبإٍ تحتوي على أحداث متعددة منها :

1- **حدث غياب الهدهد** : تفقَّد سليمان **عليه السلام** الطير فلاحظ غياب الهدهد في قوله تعالى : ﴿**وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لاَ أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ**﴾[النمل : 20] .

وهذا الحدث "مُرتبِط بالقصة تَمام الارتباط حيثُ إنَّ الهُدهد كان دليلا قويًا على معجزة سليمان الخالدة أنَّه كان يفهم لغة الطير ويُسخرها تحتَ أمرِه ومشيئَته"[2].

(وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ) ، "أي أراد معرفة الموجود منها من غيره ، وأصلُ التَفقُّد معرفة الفَقدْ والظاهر أنَّه **عليه السلام** تفقَّد كل الطير وذلك بحسب ما تقتضيه العناية بأمور الملك والاهتمام بالرَعايا لاسيما الضعفاء منها"[3].

---

[1]- ينظر : سيد قطب ، التصوير الفني في القرآن ، ص 181 و182.

[2]- عمر محمد عمر باحاذق : الجانب الفني في قصص القرآن الكريم ، ص138.

[3]- شهاب الدين السيد محمود الألوسي : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، ضبطه : علي عبد الباري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1994 ، مج 10 ، ص177.

فحدث غياب الهُدهد عنه جعَله يتوعدُه بالعذاب ، وذلك لتخلُّفه عن جيشه من الطير لذلك "رأى أنَّه يستحق العذاب أو يُقيم عليه العذاب ، وقد يُعفيه من هذين الأمرين إذا كانت غيْبته لأمر ما ، وكأنّه تلقف خبرا لا يعلمه سليمان"[1].

قال : ﴿ **لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ**﴾[النمل : 21] .

2- **حدث عودة الهدهد** : فبعد فترة ليستْ بطويلة عاد الهُدهد ومعه الخبر العجيب ﴿**فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ* بِنَبَإٍ يَقِينٍ**﴾[النمل : 22] .

مكث الهُدهد بعد تفقُّد سليمان إيَّاه زمانًا ((غير بعيد)) وقِيل : أنَّ الضمير في مكثَ لسليمان والمعنى بَقِي سليمان بعد التفقد والتوعُد زمانًا غير طويل والأول أولى[2].

قَالَ : (أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِه) "أي اطَّلعتُ على ما لم تطلعْ عليه أنت وجنودك (وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ) ، أي بخبر صِدق حق يقين"[3].

وقد كان كلام الهُدهد مُلفتًا للنَّظر حين قال : أَحطت بما لم تُحط بِه ، ليفاجيء سيِّده والإحاطة هي "العلمُ بالشيء من جميع جهاتِه ، حتى لا يخفى عليه معلوم ، ولعلَّ في الكلام حذفًا والتقدير فمكث الهدهد غيرَ بعيد فجاء وعُوقب على مَغيبِه"[4].

---

[1] - ينظر : عمر محمد عمر باحاذق ، الجانب الفني في قصص القرآن الكريم ، ص138.

*"أرض باليمن مدينتها مأرب ، بينها وبين صنعاء مسيرة ثلاثة أيــام وسُميت هذه الأرض بهذا الاسم لأنَّهــا كانت منازل ولد سباء بن يشجُب بن يَعرُب بن قحطان"- ياقوت الحموي : معجم البلدان ، دار صادر ، 1977 ، مج3 ص181.

[2] - القِنوجي : فتح البيان في مقاصد القرآن ، راجعه : عبد الله بن إبراهيــم الأنصاري ، المكتبة العصرية ، صيــدا بيروت ، طبعة 1992 ، ج1 ، ص31 .

[3] - أبو الفداء إسماعيل بن كثير : تفسير القرآن العظيم ، تحقيق : سامي بن محمد السلامة ، دار طيبة ، ط1 ، 1997 ج6 ، ص186.

[4] - القِنوجي : المصدر السابق ، ص31.

ألهم الله الهُدهد هذا الكلام فكافأ سليمان به مع ما أُوتي من فضل النُبوَّة والعلوم الجمة ابتلاء له في علمه ، وتنبيهًا على أنَّ أدنى جُنده قد أحاط علما بما لم يحط به ليكون لُطفا به في ترك الإعجاب[1].

يواصل الهدهد كلامه قائلا : ﴿**إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ*عَظِيمٌ**﴾[النمل : 23] ، فقد وجد امرأة تملك ملكا يقول : (وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ) ، وهذا وصف لحال المرأة ولمَا تملِكه من أشياء باهرة وهذا المعنى فيه مبالغة ، "وقِيل المعنى وأُوتيت من كل شيء في زمانها شيئا من أسباب الدنيا ، والمال والعُدة ما يَليق بحالها"[2].

(وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ) أي "كرسيّ مُلكها الذي تجلس عليه ، عرش هائل وعِظَم العروش يدل على عظَمة المملكة وقوَّة السلطان وكثرة رجال الشورى"[3] ، وقيل سرير مُلكها .

وإنَّما صار هذا الخبر للهُدهد عذرًا وحُجَّة عند سليمان درأَ به عنه ما كان أوعدَه به لأنَّ سليمان كان لا يرى في الأرض أحدًا له مملكة معه[4].

---

[1]- القِنوجي : فتح البيان في مقاصد القرآن ، ص31.

***سرير** الملك ، قيل إنَّه "كان طوله في السماء ثلاثين ذراعًــا ومقدمُه من ذهب مرصَّع باليواقيت والزمرد الأخضر ومؤخره من فضة مكلل بألوان الجواهر وكل قائمة من قوائمه من جوهر خلاف الآخر"- الخطيب البغدادي تاريخ الأنبياء ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2001 ، ص258 .

[2] - أبو الفداء إسماعيل بن كثير : تفسير القرآن العظيم ، ص187.

[3]- عبد الرحمن ناصر السعدي : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان ، تحقيق : عبد الرحمن مُعَلاَّ اللُويحقي دار السلام ، المملكة العربية السعودية ، ط2 ، 2002 ، ص707.

[4]- أبو جعفر محمد بن جرير الطبري : جامع البيان عن تأويل القرآن ، تحقيق : عبد الله بن عبد المحسن التركي دار هجر ، القاهرة ، ط1 ، 2001 ، ج 18 ، ص39.

يقول: ﴿**وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لاَ يَهْتَدُونَ**﴾[النمل : 24] .

فهو قد وجد امرأة وقومها على ضلالة يعبدون الشمس من دون الله ، فصدهم ذلك أي منعهم أن لا يهتدوا إلى الطريق الصحيح وهو عبادة الله جل شأنه الذي يُخرج الخَبء في السماوات والأرض.

قال : ﴿**أَلاَّ يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ* فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ** ﴿٢٥﴾ **اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ** ﴿٢٦﴾﴾ [النمل : 25- 26] ، وهو يرى أنَّ الله هو الأحق بالعبادة وهو رب العرش العظيم.

فقد كان حدث الهُدهد "دليلاً قاطعًا أمام سليمان على أنَّ هناك قومًا تركوا عبادة الله وانصرفوا إلى عبادة الشمس التي فيها الأُفول ، والمِحق والزوال ، أمَّا عبادة الله ففيها الخُلود والبَقاء والدوام"[1].

ومن هذا كله يُدرَك أن حدث الهُدهد عنصر أصيل في القصة وجوهر مكين في كيانِها ولا يمكن أن تستقيم أحداث القصة وتؤدي مغزاها الذي سِيقت من أجله إلا بهذا الحدث الذي هو بمثابة البداية والمقدمة لعرض أحوال ملكة سبإٍ وحاشيتها[2].

3- **حدث ذهاب الهدهد بالكتاب** : أراد سليمان أن يتأكَّد من صدِق الهُدهد فأمره بالعودة إلى الملِكة وقومها حاملاً الكتاب إليهم قال : ﴿**سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ** ﴿٢٧﴾ **اذْهَب بِّكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ**﴿٢٨﴾﴾[النمل : 27- 28] .

---

[1]- عمر محمد عمر باحاذق : الجانب الفني في قصص القرآن الكريم ، ص138.

[2] - عمر محمد عمر باحاذق : المرجع نفسه ، ص 138 و139.

*وهو كل مخبوء ومستور.

فقد بعثَ سليمان عليه السلام كتابًا "يتضمَّن دعوتَه لهم إلى طاعة الله وطاعة رسوله والخضوع لمُلكه وسلطانه"[1].

ذهب الهُدهد بكتاب سليمان وألقَاه إليهم ، فلمَّا قرأَته الملكة قالت لقومِها : ﴿**يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ* إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ** ﴿٢٩﴾ **إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ** ﴿٣٠﴾ **أَلاَّ تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ**﴿٣١﴾﴾[النمل : 29 - 31] ، وصفت الكتاب بأنَّه كريم ربما لأنَّ مُحتواه قيم وشريف ، يقول : (أَلاَّ تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ) ، "أي لا تَستكبِروا عن طاعَتي وامتثال أوامري"[2] .

فشَاورت وزراءهَا وكِبار قومها من الملأ فقالت : ﴿**يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ**﴾[النمل : 32] ، تقول : أنا ما أقطَعُ أمرًا من الأُمور المتعلقة بالحُكم إلا بموجب آرائكم ومشورتكم.

قال الملأ من قومها : ﴿**نَحْنُ أُولُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ**﴾[النمل : 33] . فامتَثَل الملأ لأمرِها وأخبرُوها ما عندَهم من القوة والاستطاعة فترُد عليهم رافضة فكرة الحرب قائلة : ﴿**إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً**﴾[النمل : 34] ، إذ كانوا قد عرَضُوا عليها قتال سليمان ، فهي ترى أنَّ المُلوك إذا دخلوا قرية أفسدُوا فيها وخربوها و(وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً) يعني أدلاء وقد صغُرت قيمتهم وتدنَّى مقامُهم "وذلك باستعبادِهم الأحرار واسترقاقِهم إيَّاهم"[3].

---

[1]- ينظر : أبو الفداء إسماعيل بن كثير ، قصص الأنبياء ، تحقيق : عبد الحي الفرماوي ، دار الطباعة والنشر الإسلامية ، ط5 ، 1997 ، ص615.

[2]- أبو الفداء إسماعيل بن كثير : المرجع نفسه ، ص615.

[3]- أبو جعفر محمد بن جرير الطبري : جامع البيان عن تأويل القرآن ، ص15.

*وهم أشراف القوم ، سُمو بذلك لأنَّهم يملؤون العيون والصدور ، لما لهم من المعروف وجودة الرأي.

4- **حدث إرسال الهدية إلى سليمان** : الملكة تتَّخذ قرارا حاسمًا فتقول لحاشيتها : ﴿**وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ**﴾[النمل : 35] ، وكأنَّها أرادت أن تَختبِر سليمان **عليه السلام** بهدية لترى ردَّة فِعله "فقد أرادت أن تُصانع عن نفسها وأهل مَملَكتِها بهدية تُرسِلها وتُحَف تبعَثُها ولم تعلم أنَّ سليمان **عليه السلام** لا يقبَل منهم"[1].

﴿**فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ**﴾[النمل : 36] ، فكانت ردَّة فعل سليمان **عليه السلام** أن رفض الهدية وأنكَرها بشدَّة فيأمُر الهُدهد بالرجوع إليهم فيقول : ﴿**ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لاَ قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ**﴾[النمل : 37] ، والمعنى هنا ارجعْ بهديَّتهم التي قدِمتَ بها إليَّ وإلا سيُلاقون الدمار والذُل والعار.

وهنا يبدأ الصراع بين سليمان والملكة فإنَّ الأحداث التي يقوم عليها بناء القصة في القرآن أحداث تتصارع فيها قوى متعاندة ، وهي قوى الخير والشر باعتبارهما ظاهرتين متحكمتين في الحياة وتظهر العِبرة والعِظة من ذلك.

5- **حدث انتقال العرش** : كان سليمان **عليه السلام** يستَعد لاستقبال الملِكة ووفدها قال : ﴿ **يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ**﴾[النمل : 38] ، كان هناك خياران أمام سليمان ﴿**قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ**﴾[النمل : 39] "يعني قبل أن تقومَ من مجلِسك"[2] .

[1]- أبو الفداء إسماعيل بن كثير : قصص الأنبياء ، ص616.

[2]- أبو الفداء إسماعيل بن كثير : تفسير القرآن العظيم ، ص192.

وقوله(وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ) ، "قال ابن عباس : أي قوي على حملِه ، أمين على ما فيه من الجواهر"[1] ، ثم يأتي العرض الثاني : ﴿**قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ**﴾[النمل : 40] ، فكان هذا أسرع من لَمحِ البصر.

ولمَّا رأى عرش الملكة "مستقرًا عنده في هذه المُدة القريبة من بلاد اليمن إلى بيت المقدس في طُرفة عين"[2] قال : ﴿**هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ**﴾[النمل : 40] ، فقد بادرَ سليمان **عليه السلام** بشُكر ربِّه لمثول العرش أمامه واعتبرَ ذلك بلاءً واختبارا من الله له ومن يشكُر فإنما يشكر لنفسه فالله غنيٌّ عن شُكر الشاكرين.

لمَّا جاء سليمان **عليه السلام** بعرش الملكة قبل قدومِها ، أمر بتغيير بعض صفاته ليختبر معرفتَها وثباتها عند رؤيته ، إن كانت ستُدرِك أنَّه عرشها أم لا ، قال : ﴿**نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لاَ يَهْتَدُونَ**﴾[النمل : 41] ، فقد أمرَ سليمان **عليه السلام** بتنكِير عرش الملكة "وتنكير العرش أنَّه زِيد ونُقِّص فيه"[3] ، لعلَّها تهتدي إلى طريق الحق.

فلما جاءت الملكة قيل لها : ﴿**أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ**﴾[النمل : 42] ، قالت : (كَأَنَّهُ هُوَ) "وهذا الجواب نابِع من فِطنَتها وغزارة فهمِها لأنَّها استبعَدت أن يكون عرشها لأنَّها خلَّفته وراءها بأرض اليمن ، ولم تكن تعلمْ أنَّ أحدًا يقدِر على هذا الصُنع العجيب الغريب"[4] ، وكان هذا التنكير اختبارا أوليا لفهمها.

---

[1]- أبو الفداء إسماعيل بن كثير : تفسير القرآن العظيم ، ص192.

[2]- أبو الفداء إسماعيل بن كثير : قصص الأنبياء ، ص617.

[3]- أبو جعفر محمد بن جرير الطبري : جامع البيان عن تأويل القرآن ، ص76.

[4]- أبو الفداء إسماعيل بن كثير : المرجع السابق ، ص618.

6- **حدث إسلام ملكة سبإ** : وكان من سليمان أن أعدَّ اختبارًا آخر لهذه الملِكة ليكون الحاسم أمامَها ولا مفرَّ هذه المرة إلاَّ أنْ تهتدي وتؤمن بالله الواحد الذي لا إله غيره. "وكان سليمان قد أمرَ ببناء صرحٍ من زُجاج وعمل في ممره ماءً ، وجعل عليه سقفًا من زجاج"[1].

ومن صفاتِه أنَّه كان قصرًا عظيما من قوارِير وجعل من تحته الماء ﴿**قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً* وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ** قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾[النمل : 44] .

فلمَّا رأت الملكة الصرح حسبت الماء يجري فيه "وكان من قوارير وكان الماء من خلفه فحسبته لجة"[2] ، فكشف سليمان عن سرِّه قال : (إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ) فقالت : (رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي) وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين وحده وحسُن إسلامها وانقادتْ طائعة لربها ، وهنا ينتهي الصِّراع لتكون العاقبة للخير والحق ، على الباطل "فالدعوة إلى التعرف على الله والإيمان به وحده وخَلع المعبودات الزائفة المضلِلَة من أشخاص وأوثان وأندادِها وغيرها هذه الدعوة هي مناط رسالات الرسل"[3].

القصة من ناحية الأداء تمثل القص بأسمى معانيه وتُعبِّر عن ذوق فني راق كما أنَّ أحداثها مترابطة ومتسلسلة ولكل عنصر فيها دورُه البارز ، وفيها حيوية في العرض حتى لكأنَّ السامع أو القاريء يشهد القصة حية تقع أحداثُها أمامه وتتوالى وفيها تحد وانتقاص للعنصر البشري لما تحمله من معجزات وخوارق.

---

[1]- أبو الفداء إسماعيل بن كثير : قصص الأنبياء ، ص618.

*وهو الماء الكثير.

**قطع مسواة من الزجاج نحو قوله تعالى : ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَ﴾[الإنسان : 15].

[2]- أبو زكريا يحي بن زياد الفراء : معاني القرآن ، عالم الكتب ، بيروت ، ط3 ، 1983 ، ج2 ، ص83.

[3]- عبد الكريم الخطيب : القصص القرآني في مفهومه ومنطوقه ، ص200.

ب- عنصر المفاجأة :

من السِمات البارزة في القصة القرآنية أنها مِشعل تشويق ومنارة تعطش حتى لمسنا فيها طرائق متعددة من ألوان إثارة السامِع والقارئ[1]. "والتشويق يحسُن في عنصر المفاجأة ويكون في معرِفة طريق كشف العُقدة"[2]. وعادة ما يُثير التوتر والانفعال في النفوس ، ومن خصائص القصة القرآنية تنوع طريقة المفاجأة :

1- "إمَّا أن يُكتَم السِر عن البطل والنظارة ثم يُكشَف لهم في آن واحد .

2- إمَّا أن يُكتَم السِر عن أبطال القِصة ، ولكن يُكشف للنظارة يعني لنا نحن.

3- وإمَّا أن يكشف بعض السر للنظارة وهو خاف تمامًا عن البطل في موضِع ، وخاف عن النظارة وعن البطل في موضِع آخر في القصة الواحدة .

4- إما أن لا يكون هناك سر بل يفاجأ البطل والنظارة بالموضوع دُفعة واحدة من غير ترقُب وانتظار"[3].

وفي قصة سليمان **عليه السلام** مع الهُدهد وملكة سبإٍ تنوَّعت طريقة المفاجأة فمرةً لم يكن هناك سر بل فوجيء البطل والنظارة بالموضوع دفعة واحدة ومثاله "الهدهد في مملكة سليمان فقد تفقَّده سليمان يوما فلم يجده فأقسم ليعذبنَّه أوليأتي بحجة ويظهر الهدهد فجأة (فمكث غير بعيد) ليقول في لهجة المنتصر مخاطبًا النبي سليمان **عليه السلام** قال ﴿**أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ**﴾[النمل : 22]"[4] .

---

[1]- ينظر : عمر محمد عمر باحاذق ، الجانب الفني في قصص القرآن الكريم ، ص95.

[2]- التونجي : المعجم المفصل في الأدب ، ص254.

[3]- عمر محمد عمر باحاذق : المرجع السابق ، ص95.

[4]- عمر محمد عمر باحاذق : المرجع السابق ، ص94.

ويتجلى هذا الاكتشاف في امرأة تملك مُلكا وتعبد الشمس قال : ﴿**إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لاَ يَهْتَدُونَ﴿٢٤﴾**﴾ [النمل : 23- 24] .

فالنبأ كان خافيًا علينا وعلى البطل ففوُجئنا في لمح البصر، ومرة يُكشف بعض السر للنظارة ويتحدد ذلك في قوله تعالى : ﴿**فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ**﴾ [النمل : 42] ، من ذلك عرش الملكة الذي جيء به في غمضة عين ، وعرفنا نحن أنَّه بين يدي سليمان في حين الملكة ظلت تجهل ما نعلم فنحن عرفنا السر بينما هي خفي عليها السر[1].

وهذه المفاجأة عرفنا نحن سرها من قبل ، ولكنها لم تكن لتخطر على بال الملكة فلمَّا رأت عرشها من وراء التنكير قالت : (كأنَّه هُوَ) فهي لم تنف ولم تثبت وهذا يدل على فطنتها وشذة ذكائها أمام المفاجأة العجيبة.

إنَّها مفاجأة كبيرة لا تخطُر للملكة على بال فأين عرشها في مملكتها وعليها أقفالُها وحُراسها ، وأين هو من بيت المقدس مقر ملك سليمان ؟ وكيف جيء به ؟ ومن ذا الذي جاء به[2] ، فهو عرشها من وراء التنكير والتغيير.

ومرة يُكتَم السر عن البطل والنظارة حتى يُكشف لهم في آن واحد ومثال ذلك "مفاجأة الصرح الممرد من قوارير ظلت خافية علينا وعليها حتى فوجئنا بسرها معا حينما قيل

[1]- ينظر : سيد قطب ، التصوير الفني قي القرآن ، ص187.

[2]- ينظر : سيد قطب ، في ظلال القرآن ، دار الشروق ، القاهرة ، ط1 ، 1972 ، مج1 ، ص2642.

لها : ﴿**ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ**﴾[النمل : 44]"[1] .

وهذه المفاجأة لم يَكشِف السياق عنها مباشرةً كما كشف عن المفاجأة السابقة ، فقد كُشفَت لنا ولها بعد دخولها الصرح "وهذه طريقة أخرى في الأداء القرآني في القِصة غير الطريقة الأولى"[2]. "فتارةً نرى أنَّ العقدة حينما يشتدُّ أوارها حتى تحار النفس في حقيقتها يأتي الحل الذي يزيل معجمها ويدفع خفاياها"[3].

لقد كانت المفاجأة قصرًا من البلور أُقيمَت أرضيتُه فوق الماء وظهر كأنَّه لُجَّة فلما قِيل لها أدخلي الصرح حسبت أنَّها ستخوض تلك اللُجَّة ، فكشفت عن ساقيها فلما تمت المفاجأة كشف سليمان عن سِرها[4]. وقفت الملكة مدهوشة أمام هذه الخوارق والمعجزات التي يعجز عنها البشر واعترفت بظلمها لنفسها وأسلمت لله رب العالمين.

وعادةً ما يكون التشويق في "ترقب القراء أو النظارة لما ستكون عليه نهاية الأحداث في رواية أو قصة أو تمثيلية وهي صفة من صفات التوتر تحتفظ باهتمام الجمهور وتجعله يتساءل ما الذي سيحدث بعد ذلك"[5].

فالقرآن الكريم حوادثه وإن أدت إلى خلق العقدة فإنَّنا نلاحظ أنَّها كانت بطريقة منطقية طبيعية يتقبَّلُها العقل ويألفها الوجدان[6].

---

[1]- سيد قطب : التصوير الفني قي القرآن ، ص187.

[2]- سعيد عطية علي مطاوع : الإعجاز القصصي في القرآن الكريم ، ص73.

[3]- عمر محمد عمر باحاذق : الجانب الفني في قصص القرآن الكريم ، ص95.

[4]- سعيد عطية علي مطاوع : المرجع السابق ، ص73.

[5]- إبراهيم فتحي : معجم المصطلحات الأدبية ، ص88.

[6]- عمر محمد عمر باحاذق : الجانب الفني في قصص القرآن الكريم ، ص101.

ج- الفجوات بين المشاهد :

الفجوات هي "التي يترُكها تقسيم المشاهد و((قص)) المناظر مما يؤدي في المسرح الحديث إنزال الستار وفي السينما الحديثة انتقال الحلقة ، بحيث تُترَك بين كل مشهدين أو حلقتين فجوة يملؤُها الخيال ويستمتع بإقامة القنطرة بين المشهد السابق والمشهد اللاحق"[7].

وفي قصة سليمان عليه السلام مع الهدهد وملكة سبإٍ نجد قفزات كبيرة تُخلف فراغات وهي تلك الفجوات بين المشاهد ويمكن أن نحددها كالآتي :

المشهد الأول : ((وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لاَ أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ؟.... بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ)) **فجــوة** ((فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ : أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ....الله لا اله إلا هو رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ)).

المشهد الثاني : قال: ((اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهِ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ)) **فجــوة** ((قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ.... وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ)). فإذا الملكة قد وصل إليها الكتاب وهي تستشير الملأ من قومها في هذا الأمر الخطير.

المشهد الثالث : قالت :((وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ)) "فإذا مشهد رسل الملكة وهديتهم أمام سليمان وإذا سليمان ينكر عليهم اتجاههم إلى شرائه بالمال"[8] **فجــوة** ((فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ : أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ)) **فجــوة** ((قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ)).

---

[7]- سيد قطب : التصوير الفني في القرآن ، ص188.

[8]- سيد قطب : في ظلال القرآن ، ص2641.

فالسياق لا يذكر كيف عاد رسلها إليها ولا ماذا قالوا لها ، ولا ماذا اعتزمت بعدها إنَّما يترك فجوة نعلم مما بعدها أنَّها قادمة وأنَّ سليمان يعرف هذا ، وأنَّه يتذاكر مع جنوده في استحضار عرشها الذي خلَّفته في بلادها محروسا مصونا[1].

المشهد الرابع : قال : ((نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لاَ يَهْتَدُونَ)) **فجــوة** ((فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ)) "وهنا فجوة في السياق فكأنما أُخبرت بسر المفاجأة فقالت أنَّها استعدت للتسليم والاستسلام من قبل أي مند أن اعتزمت القدوم على سليمان بعد رد الهدية"[2] ، وهنا "يخبرنا السياق أن عدم قبول الهدية كان سببا في مجيء الملكة إليه ثم إسلامها لله رب العالمين وكأنه لو قبل لكان للأحداث التالية شأن خطير"[3].

المطلب الثاني : الحوار والسرد

نجد كثيرًا من القصص القرآني كان الحوار فيه عُنصرا مهمًا إن لم يكن العنصر البارز وهو موجود على كل حال في كل قصة تعددت شخصياتها[4] ، وهذا تماما ما هو موجود في قصة سليمان **عليه السلام** مع الهدهد وملكة سبإٍ ، فقد كان الحوار يطغى على كل العناصر في القصة فكأنَّها دراما مشخصة أمامنا ، والحوار هو "الروح الذي يسري في كيان العمل القصصي ، وبغير الحوار يتحول هذا العمل إلى كُتلة باردة متحجِّرة

[1] - سيد قطب : في ظلال القرآن ، ص 2641.
[2] - سيد قطب : المرجع نفسه ، ص 2642.
[3] - سيد قطب : المرجع نفسه ، ص 2642.
[4] - محمد أحمد خلف الله : الفن القصصي في القرآن الكريم ، ص321.

من الكلمات"[1].

فإنَّ القرآن حين يُنطق شخصية من الشخصيات في القصة فإنَّما يحمِل على لسانها ما يدور في خاطِرها سواء كانت صادقة أم كانت من تلك الشخصيات التي تراوغ وتخادع فإنَّه يسعى إلى أن يفضَحها ويكشِف عمَّا أخفته وأضمَرته في نفسها[2] .

والحوار في القصة هو الذي يخلق لنا الحركة ، ومن خلاله تتجلى العواطف والأحاسيس وهو عين الشدة والقوة والإثارة ولُحمة التواصل ، "وقد تميَّز الحوار القصصي القرآني عن غيره فهو لم يكن مصدره دائما هو الإنسان كما هو المألوف بل اشتركت فيه عناصر مختلفة"[3].

ونأتي الآن لعرض أهم الحوارات وما تخللها من سرد في القصة :

[[وتَفَقَّدَ الطَّيْرَ **فَقَالَ** :.....، فمكث غير بعيد **فَقَالَ** :..... ، **قَالَ** :.....، **قَالَتْ** :..... **قَالَتْ** ..... **قَالُوا** :.....، **قَالَت** :..... وكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ، فلمَّا جاء سليمان **قَالَ** :..... **قَالَ**.....، **قال عِفْريتٌ مِنَ الْجِنِّ** :..... ، **قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ** :.....، فَلَمَّا رَآَهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ **قَالَ** :.....، **قَالَ** :..... فَلَمَّا جَاءَتْ **قِيلَ** :..... **قَالَتْ** :.....، وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ ، **قِيلَ لَهَا** :.....، فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا ، **قَالَ** :.....، **قَالَت** :.....]].

نرى هيمنة الخطاب المعروض يتخللُه المسرود قليلا ، يُوجِّه المعروض ويملأ الفراغات التي تنتج عنه[4] ، فقد تكرر القول أكثر من عشر مرات ، أمَّا السرد فهو قليل

[1]- عبد الكريم الخطيب : القصص القرآني في مفهومه ومنطوقه ، ص123.

[2]- ينظر : عبد الكريم الخطيب ، القصص القرآني في مفهومه ومنطوقه ، ص121.

[3] - سعيد عطية علي مطاوع : الإعجاز القصصي في القرآن الكريم ، ص112.

[4]- محمد مشرف خضر : بلاغة السرد القصصي في القرآن الكريم ، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في الآداب جامعة طنطا ، الإسكندرية ، ص150.

جدا وهنا اعتماد كبير على الأقوال وتجاوز لكثير من الأحداث وكأنَّنا أمام مسرحية بشخوصها وحواراتها.

والحوار وحده من بين أساليب القول هو الذي يعتمد عليه فن القص في خلق الحركة وتلوينها وتنويعها[1] ، والقصة القرآنية تستخدم الحركة والحوار استخداما لم تستطع أي لغة أن تبلغ ما بلغه القرآن في هذا الميدان.

والقرآن الكريم إنمَّا يُمسك من الموقف الحواري بالعناصر الحية منه ، وبالمشاهد البارزة فيه مما من شأنه أن يُجَلي الموقف ويحدد معالمه ويكشف حقيقته ، ثم يكون للناظر بعد ذلك أن يملأ الفراغات ويُلونها بما يُسعِفه به إدراكه ويمُده به خياله ، فهو ليس أداة تسجيل يسجل كل شيء وهذا مما لا يقبَله إعجازه وبلاغته[2].

ونلمس من محاورات سليمان عليه السلام التواضُع وتجنب الغرور والتزام الأسلوب المهذَّب الخالي من العيب[3] ، وكذا طريقة اللين لأنّ القصة القرآنية مرتبطة بالخط القرآني الكبير وهو الدعوة إلى الله وإرشاد الناس إلى الحق ، فبالرغم ممَّا أعطاه الله من مُلك لا ينبغي لأحد من بعده "إنَّه يتَفقَّد جنوده فلا يرى الهُدهد من بينهم فيتوعدُه ، فيأتي الهُدهد بعد ذلك فيقول محاورًا سليمان عليه السلام بكل شجاعة أحطت بما لم تحط به ، ويقبَل سليمان عليه السلام بكل تواضع حُجة الهُدهد ويُكلِّفه بحمل رسالة إلى تلك الملكة التي أُوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم"[4].

فحوار سليمان مع الهُدهد ذو سمة خاصة لا نجد لها أثرًا في القص الأدبي على الإطلاق وهي تلك الذاتية التي يحتفظ بها الحوار لشخصيات المتحاورين ، إذ إنَّنا إزاء

---

[1] - عبد الكريم الخطيب : القصص القرآني في مفهومه و منطوقه ، ص119.

[2] - ينظر : محمد أحمد خلف الله ، الفن القصصي في القرآن الكريم ، ص140.

[3] - محمد سيد طنطاوي : القصة في القرآن الكريم ، ص29.

[4] - محمد سيد طنطاوي : المرجع نفسه ، ص29.

شخصيات واقعية ، لها وجودها الذاتي ولها مُنطلقها وتفكيرها ، ولها موقفها الخاص الذي تقِفه في الحدث ، وفي الأسلوب الذي تُعبِر به عن ذلك الموقف دون أن نشعر بأنَّ هناك مُلقنا من ورائها يلقِّنها الكلمات التي تُلقيها في المشهد أو يحرِّكها الحركة التي تؤديها فيه[1].

فالقرآن يعرض لنا حوارا بديعا فانظر إلى ما يقوله الهدهد لسليمان بعد أن تلقفَّ نبأ عجيبا قال : ﴿**أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ**﴿٢٢﴾ **إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ** ﴿٢٣﴾ **وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لاَ يَهْتَدُونَ**﴿٢٤﴾﴾ [النمل : 22- 24] .

وهكذا نرى الجندي الصغير في الأمة التي يُظلها العدل والأمان لا يمنعُه صغرُه من أن يرد على الحاكم الكبير ، وأن يدافع عن نفسه بكل حرية وشجاعة ونرى أنَّ الحاكِم الكبير يقابل ردَّه بكل تواضع ، ويفسح له المجال في أن يُدلي بكل حُجَجه وأن يضعها موضع التحقيق والاختبار[2].

قال : ﴿**سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ** ﴿٢٧﴾ **اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهِ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ**﴿٢٨﴾﴾[النمل : 27- 28] .

فانظر إلى حوار الهدهد مع سليمان فإننا "نشعر شعورا صادقًا بأنَّ هذا الحيوان قد نطق فعلا بهذه الكلمات ، وأنَّه ما نطق به إنَّما كان تعبيرا صادقا وتصويرا صحيحًا لمشاعِره ومُدركاته وإنَّ كل كلمة قالها إنَّما هي منه عن علم وفهم ووعي"[3] .

---

[1] - ينظر : عبد الكريم الخطيب ، القصص القرآني في مفهومه ومنطوقه ، ص130.

[2] - محمد سيد طنطاوي : القصة في القرآن الكريم ، ص29 و30.

[3] - عبد الكريم الخطيب : المرجع السابق ، ص130.

فالقصة القرآنية ليست كالقصة العادية التي "يتقصَّد فيها مُؤلفها المزج بين عالم الإنسان وعالمي الحيوان والجماد فيُعطيهما الأبعاد الإنسانية نفسها ، ويخلِطها بشخصيات خُرافية من عالم الخيال"[1].

والشخصيات فيها "حقائق لها وجودها الذاتي ولها منطقها وسلوكها ، ولها منزعها واتجاهها ولها استقلالها وكيانُها وليس وراءها في أي مشهد ما ، أو في أي موقف من المواقف يد تحركها أو أصابع تشدها"[2] ، أو مؤلف يتقول في مكانها أو يتقمص أدوارها.

والحوار في القصة القرآنية يجعلنا نشعر بالحياة فيها ، وينقلنا من موقف إلى موقف ونعيش من خلاله تلك الأحداث الماضية ، نشعر بأبطال القصة وهم يتحركون ويؤدون أدوارهم وأوضاعهم كما لو كنا حاضرين معهم .

وخير مثال على ذلك محاورات سليمان عليه السلام مع ملكة سبإٍ والذي كان مشوقا ومثيرًا لما تركه من انفعال لدى الملكة بعد أن أراها سليمان عليه السلام تلك المفاجآت العجيبة ، وكان الهدف من الحوار هو أن تُدرك خطأها وتهتدي لله عز وجل فتنتهي تلك المحاورات بأن تقول : رب إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين.

وهكذا الأمم العاقلة الرشيدة لا يُهان فيها الصغير ولا يُظلَم فيها الكبير ، وإنَّ التحاور بين العقلاء يقوم على التواضع وإعطاء كل ذي حق حقَّه دون تكبر أو غرور[3].

---

[1] - ينظر : يوسف الشاروني : القصة تطورا وتمردا ، مركز الحضارة العربية ، القاهرة ، ط2 ، 2001 ، ص45.

[2] - سعيد عطية علي مطاوع : الإعجاز القصصي في القرآن الكريم ، ص118.

[3] - محمد سيد طنطاوي : القصة في القرآن الكريم ، ص30.

من أجل هذا كان الحوار القصصي القرآني ذا أثر بعيد في إحياء المشاهد التي ضمَّ عليها الحدث القصصي وفي اقدراها على التأثير بالكلمة تأثيرًا لا يبلُغه التأثير بالصورة أو الحركة في العمل السينمائي أو المسرحي[1].

إنَّ الحوار البنَّاء الذي يُقصَد به الوصول إلى الحق والعدل ومكارم الأخلاق هو الذي يكون لُحمته وسداهُ الصدق في القول والعفاف في السلوك[2] ، وحوار سليمان عليه السلام مع ملكة سبإ مثال للحوار البنَّاء فهدفُه الرئيس هو الدعوة إلى الحق والرشاد والهداية .

والعقلاء دائما عندما تتَّضح لهم الحُجة ، ويظهر لهم البرهان ويرون الدليل الساطعَ على صحة المسألة يقنَعون بذلك ، ويعترفون بالحق ، أمَّا السفهاء والجهلاء المغرورون فإنَّهم يُصرون على باطلهم ويجحدون الحق عن عِلم به لسوء نواياهم وضعف عقولِهم وانطماس بصائرهم[3].

وملكة سبإٍ مثال المرأة العاقلة الفاطنة والذكيَّة التي أعملت عقلها فهداها الله إلى طريق الحق والرشاد وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين ، قالت : ﴿**رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾[النمل : 44] .

فقد أدركت خطأها وها هي تتوجه إلى الله وتناجيه خاضعة مُنقادة ، فلو كانت غير ذلك لأضلَّها الله وقومها ، فالله لا يهدي القوم الظالمين لأنَّهم أصروا على الباطل واتبعوا الشيطان ، ويبقى الهدف من الحوار "رد العقل إلى التفكير المنظَّم وبيان فساد موقف الخصم"[4].

---

[1] - عبد الكريم الخطيب : القصص القرآني في مفهومه ومنطوقه ، ص130.

[2] - محمد سيد طنطاوي : القصة في القرآن الكريم ، ص23.

[3] - محمد سيد طنطاوي : المرجع نفسه ، ص27.

[4] - تمَّام حسّان : البيان في روائع القرآن ، عالم الكتب ، ط1 ، 1993 ، ص441.

المطلب الثالث : عنصرا الزمان والمكان

أ- الزمـــــان :

إن للزمن "مكانه الملحوظ دائما في سير الأحداث القصصية وفي تنميتِها وإنضاجها وخروج الحدث القصصي عن حدود الزمن وقيودِه يجعله في عزلة عن الحياة وفي انقطاع عن الروافد التي يتغذى منها"[1] ، "هذا وليست دلالات الزمن منتهية عند اللفظ الصريح بها كيوم وليلة وساعة وشهر وسنة وبضع سنين ونحو هذا ، بل إنَّ للزمن دلالات كثيرة لا تُحصى تُطل من ملامح الحدث ذاته وتبدو على سماته"[2].

فإن لكل قصة زمانها ومكانها الخاص بها وهذا العنصر متجدد متحرك مع الأحداث "ولقد مزَّق القرآن حاجز الزمن الماضي فيُخبرنا بما حدث للأمم السابقة ويقص علينا قصص الرسل السابقين"[3] ، "فليست لهذا الزمن ولا لجزئياته حدود تحدُّه بالنسبة للزمن الذي يُظللُنا بحيث يمكن أن نعرف كم بيننا من السنين أو القرون وبين هذا الحدث القصصي أو ذاك من أحداث القصص القرآني"[4].

فإنَّ للزمن أثراً كبيراً في بناء القصة ويُكسبها صفة الواقعية مما يثير الانتباه في نفس القاريء ويجعله يعيش ذلك الحدث ، وعادة ما يلجأ القُصاص إلى الخروج بالزمن عن طبيعتِه الخاصة فقد سمح لهم الخيال بأن يتحكموا فيه ويديرُونه كيفما شاءوا فأخرجوه عن حقيقته واخترقوا بذلك الحواجز .

---

[1] - عبد الكريم الخطيب : القصص القرآني في مفهومه ومنطوقه ، ص82.

[2] - عبد الكريم الخطيب : المرجع نفسه ، ص82.

[3] - سعيد عطية علي مطاوع : الإعجاز القصصي في القرآن الكريم ، ص83.

[4] - عبد الكريم الخطيب : المرجع السابق ، ص82.

وأحداث القَصَص القرآني "كُلها تطلع من آفاق القرون الماضية والأزمان الخالية .. وهذا ما يُعطي مستمع القرآن أو قارئه إحساسا خاصًا بالزمن على صورة كاملة وهي صورة الماضي البعيد"[1].

مخطط للبنية الزمنية في قصة سليمان عليه السلام مع الهدهد وملكة سبإٍ :

[((وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لاَ أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ..... بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ)) **قطع مدة من الزمن** ((فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ....اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ)) ، ((قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ () اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهِ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ)) **قطع مدة من الزمن** ((قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ () إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ () أَلاَّ تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ))....((وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ)) **قطع مدة من الزمن** ((فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ ..... ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لاَ قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ))....((قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لاَ يَهْتَدُونَ)) **قطع مدة من الزمن** ((فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ)) **استرجاع خارجي** ((وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ))].

فالزمن يظهر من خلال السياق والبُنى ؛ لأنَّ من أغراض القرآن الكريم الاهتمام بالحدث الذي يُناسب الغاية التي ذُكر من أجلها[2] ، وربما جاء عنصر الزمن متخفيا في القصة "وإن جاء متخفيا فقد كان مجيئه على هذا الوجه مقدورا بقدر الحاجة إليه...ذلك أنَّه وإن يكن هدف القصة غير مقيد بزمان ولا محدود بمكان فإنَّ للزمن أثرُه في إضفاء لون

[1]- عبد الكريم الخطيب : القصص القرآني في مفهومه ومنطوقه ، ص83.

[2]- نبهان حسون السعدون : الزمن في القصة القرآنية قصة موسى أنموذجا ، مجلة كلية العلوم الإسلامية ، العدد 15 2014 ، ص3.

من الإكبار والإجلال على الأحداث التي ضمَّت عليها القصة وبالتالي يُعظِّم في النفس موقع العبرة والعظة منها"[1].

ولهذا تقوم القصة الناجحة على ملاحظة العنصر الزمني ملاحظة دقيقة واعية ، حيث تمسك الخيوط الزمنية بكل جزئياتها ، وتُحركها بميقات معلوم فتطلُع بها في الوقت الذي تستدعيه الأحوال[2].

ب- المكـــــان :

كما أنَّ للزَّمان شأنا وحسابا وتقديرًا في بناء القصة وفي ضبط حركاتِها وانتظام أحداثها كذلك هو الشأن في المكان ، فهو للأحداث أشبه بالوعاء الحامل لها على حين يكون الزمن هو اليد الحاملة لهذا الوعاء[3].

يأتي المكان في المنزلة الثانية بعد الزمن وله مكانتُه الخاصة في القصة فلا بُدَّ للحوار من مكان يجري فيه ، ولا يمكننا التعرف على طبيعة الحوار إلاَّ من خلال التعرف على المكان لما له من تأثير على طبيعة الحوار نفسه ، فحوار يجري بعيدًا عن القصر لا بد أن يختلف عن حوار يجري في حضرة الملك أو الحاكم ؛ وذلك لطغيان المكان على المتحاورين.

والقرآن الكريم لا يلتَفت إلى المكان ولا يُجري له ذكرًا إلاَّ إذا كان للمكان وضع خاص يؤثر في سير الحدث أو يُبرز ملامحه ، أو يقيم شواهد العبرة والعظة فإنَّ للمكان أثر كبير في بناء القصة وفي تحريك أحداثها وفي بيان واقعيتها وصدق أحداثها[4].

---

[1] - عبد الكريم الخطيب : الإعجاز في دراسات السابقين ، ص419.

[2] - ينظر : عبد الكريم الخطيب ، القصص القرآني في مفهومه ومنطوقه ، ص42.

[3] - عبد الكريم الخطيب : المرجع نفسه ، ص91.

[4] - ينظر : عبد الكريم الخطيب ، المرجع نفسه ، ص92.

وفي قصة سليمان **عليه السلام** مع الهدهد وملكة سبإٍ نجد بعض الأماكن مذكورة منها : (سبــأ ، قرية ، الصرح* ، السماوات ، الأرض).

وقد يذكُر القرآن المكان ذكرًا محددا ، كمصر ، ومدين ، والطور والأحقاف .. وهنا يكون لهذا الذكر داعية في تلوين الحدث القصصي بلون خاص ينفُض عليه من هذا المكان فتبرز فيه ملامح وآثار تقوي دواعي العِبرة والعظة التي يحمِلها[1].

فالهُدهد جاء بخبر عجيب وتلقَّفه من مكان وهو مدينة "**سبإٍ**" البعيدة عن سليمان مسافات ومسافات ، وسَبأ معروفة فهي "دولة ذات حضارة قديمة في شرق اليمن في المنطقة المعروفة الآن بمأرب عاشت أزهى عصورها في القرن العاشر قبل الميلاد وباسمها سورة في القرآن تعرض لشيء من تاريخها وحضارتها"[2] .

أما الصرح فقد كان مكانًا مهما وقعت فيه الأحداث لا غِنى عنه وهو مكان إسلام الملكة وخضوعها لرب العالمين وإنَّ الحوار ليطغى كليا على العناصر الأخرى فيجعلنا نلمس المكان وراء اللغة السارِدة وهذه طريقة فريدة في الأسلوب القرآني .

وفي قصة سليمان **عليه السلام** مع الهدهد وملكة سبإٍ يبقى الزمان والمكان خلف الحوار لأنَّه يطغى على مسرح الأحداث "وإنَّه لم يكن من أهداف القرآن أن يستغرق الأماكن حصرًا وتسجيلا"[3].

---

[1] - عبد الكريم الخطيب : القصص القرآني في مفهومه ومنطوقه ، ص94.

[2] - مجمع اللغة العربية : معجم ألفاظ القرآن الكريم ، ص546.

[3] - سعيد عطية علي مطاوع : الإعجاز القصصي في القرآن الكريم ، ص88.

*وهو قصر عال وضخم : من ذلك قول فرعون : ﴿يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ﴾[غافر :36].

المطلب الرابع : المعجزات والخوارق

في القَصَص القرآني كثير من المعجزات والخوارق التي تطلُع بين أحداث القصة فتُحدث دويا هائلاً ، وتُثير زلزلة عاتية ينقلب بها وجه الأحداث ويتحول سيرُها أو يتوقف[1]. كذلك هو الحال في قصة سليمان **عليه السلام** مع الهدهد وملكة سبإٍ فإنَّها تحتوي معجزات كثيرة خارقة وهبها الله لنبيه سليمان كانت ذات أثر فعَّال في القصة استدعاها الحدث "ومعلوم – مقدما– أنَّ هذه المعجزة أو هذا الخارق الذي دخل على أحداث القصة ليس من تدبير الإنسان ، ولا من عمل الطبيعة ، وإنَّما هو من تدبير الله سبحانه وتعالى ومن تقديره"[2].

أعطى الله سبحانه وتعالى لسليمان **عليه السلام** كثيرًا من المعجزات الخارقة "وسخَّر له سبحانه من القوى والطاقات الكبيرة ما لا يمكن لأحد من البشر أن يصل إليها ، وأصبح مُلك سليمان مُلكًا عظيما في الأرض ... فلم يصل إلى مثل ملكه أحد قبله ولا بعده استجابة لدعوته **عليه السلام** عندما سأل الله سبحانه قال : ﴿**رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لاَ يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ**﴾[ص : 35]"[3] .

إنَّ سلب القصص القرآني هذه العناصر التي شاركت في بنائه والتي لها آثارها البارزة في وجوه الإعجاز التي تطلُع من القرآن الكريم فتخشع له الأبصار ، وتخضع له الرقاب .. إنَّ سلب هذه العناصر معناه انتزاع أعصاب الكائن الحي من جسده بحساب أنَّها شيء زائد من حقيقة وجوده[4].

---

[1] - عبد الكريم الخطيب : القصص القرآني في مفهومه ومنطوقه ، ص143.

[2] - عبد الكريم الخطيب : المرجع نفسه ، ص143.

[3] - عبد الحميد محمود طهماز : المعجزة والإعجاز في سورة النمل ، دار القلم ، دمشق ، ط1 ، 1987 ، ص46.

[4] - عبد الكريم الخطيب : المرجع السابق ، ص163.

وقد احتوت قصة سليمان عليه السلام مع الهدهد وملكة سبإٍ معجزات وخوارق ، فمن الخوارق طائفة من الجن والإنس والطير لتكون تحت إمرته وطوع أمره .

1- **منطق الطير** :

كان عليه السلام يحاور الطيور وتحاورُه ويكلِّمها وتكلمه ، وهو لا شك أمر خارق للعادة وللمعجزة فيه وجهان : تكليمه عليه السلام للطير وفهم الطير لكلامه وتكليم الطير له وفهمه لمنطق الطير وكلامه[1].

وهذا ظاهر تماما في القصة من خلال الحوار ، قال الهُدهد مخاطبا سليمان : ﴿**أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ** ﴿٢٢﴾ **إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ** ﴿٢٣﴾ **وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ**﴿٢٤﴾﴾ [النمل : 22- 24] سليمان يفهم ويرد عليه ليتأكد من صدقه : ﴿**قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ**﴾[النمل : 27] . أو ليست معجزة خارقة للعادة طائر يُكَلم سليمان وها هو يُدرك "أحوال ملكة سبإٍ وقومها ما يُدرِكه أعقل الناس وأذكاهم واتقاهم وكان ذلك كذلك عن طريق الخارقة والإعجاز"[2].

فإنَّ "منطق الطير كلامُه ، وفيه دليل على أن للطيور لغة تَخاطُب خاصة بها ، علَّم الله هذه اللغة سليمان عليه السلام ، وأظهرها سليمان للناس تحدُثا بنعمة الله سبحانه عليه وإظهارا للمعجزة التي خصه الله سبحانه بها ، ولهذا قدمها في الذكر عندما قال :

[1]- عبد الحميد محمود طهماز : المعجزة والإعجاز في سورة النمل ، ص49.

[2]- سيد قطب : التصوير الفني في القرآن ، ص2635.

﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ* الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ**﴾[النمل : 16]"[1].

ولهذا فإنَّ العنصر يدخل دخولا مفاجئا مباغتًا ، لا يتوقعُه أحد ممن يشتركون في الصراع المحتدَم على مسرح الأحداث ، أو الذين يشهدون هذا الصراع[2] ، فمعلوم أن الهُدهد هو اليوم الهدهد نفسه في الأزمنة الغابِرة بكل مواصفاته وشكله ولونِه وعندما يريد الله أن تقعَ الخارقة يخرق المألوف عند البشر "وهكذا وُجد هُدهد سليمان وربَّما كل الطائفة من الطير التي سُخرت له في ذلك الزمان"[3].

2- **الجنود من الجن والإنس** :

وفي جنود سليمان معجزات كبيرة خارقة للعادة ، أخضع الله سبحانه له الجن ليكون من جنوده[4]. قال تعالى :﴿**وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ**﴾[النمل : 17] ، "فقد أراد سليمان **عليه السلام** أن يُظهر لملكة سبإٍ بعض ما سخر الله سبحانه له من القوة وما وهب له من الملك ، لتعلَم صِدق نُبوته فتُسلم لله تعالى وتدخل في دينه فجمع كبار رجال مملكته وقادة جنده ووزرائه"[5].

قال : ﴿**يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ**﴾[النمل : 38] ، أراد سليمان أن يأتي بعرش الملكة قبل أن تأتي هي وقومها خاضعين له فعرض عليه جنوده ما لديهم من طاقات ومعجزات خارقة وهبها الله لهم ، فكان العرض الأول من عند عفريت من الجن.

---

[1] - عبد الحميد محمود طهماز : المعجزة والإعجاز في سورة النمل ، ص49.

[2] - عبد الكريم الخطيب : القصص القرآني في مفهومه ومنطوقه ، ص143.

[3] - سيد قطب : في ظلال القرآن ، ص2635.

[4] - عبد الحميد محمود طهماز : المعجزة والإعجاز في سورة النمل ، ص53.

[5] - سيد قطب : المرجع السابق ، ص2641.

*لــغة الطيــر

فقد عرض عليه عفريت من الجن أن يأتيه به قبل انقضاء جلسته هذه وكان يجلس للحكم والقضاء من الصبح إلى الظهر فيما يروى[1] ﴿**قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ**﴾[النمل : 39] .

ويبدو أنَّ سليمان عليه السلام استبطأ إتيان العرش في هذه المدة التي عرضها عفريت الجن وعندئذ ﴿**قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ**﴾ [النمل : 40] ، فإذا به "يعرض أن يأتي به في غمضة عين قبل أن يرتد إليه طرفه ولا يُذكَر اسمه ولا الكتاب الذي عنده علم منه إنَّما نفهم أنَّه رجل مؤمن على اتصال بالله ، موهوب سرا من الله يستمد به من القوة الكبرى التي لا تقف لها الحواجز والأبعاد"[2].

ثم إنَّ خلق هذا الأمر المعجَز الخارق على يد رجل من حاشية سليمان ، أجراه الله وخلقه من أجل سليمان وبطلب منه ... فهو في الحقيقة معجزة للنبي سليمان عليه السلام ولهذا حدثت المعجزة ورأى العرش مستقرًا عنده[3].

وهذا الذي عند علم من الكتاب كانت نفسُه مهيأة بسبب ما عندَه من العلم ، أن تتَّصل ببعض الأسرار والقِوى الكونية التي تتم بها تلك الخارقة التي تمت على يده لأنَّ ما عنده من علم الكتاب وصل قلبه بربه على نحو يهيئه للتلقي ولاستخدام ما وهبه الله من قوى وأسرار[4].

---

[1]- سيد قطب : في ظلال القرآن ، ص2641.

[2]- سيد قطب : المرجع نفسه ، ص2641.

[3]- عبد الحميد محمود طهماز : المعجزة والإعجاز في سورة النمل ، ص72.

[4]- سيد قطب : المرجع السابق ، ص2641.

إنَّ هذه القوى الغيبية الحاضرة في هذه القصة عنصر من العناصر الفعَّالة "لما تُثير من تلك الانفعالات القويَّة الحادة التي تملك على الإنسان أحاسيسه ووجدانه ... الأمر الذي لا يمكن أن نجده في غير القصص القرآني فإن وجدناه فإنَّما تكون نظرتُنا إليه نظرة شك وارتياب ؛ لأنَّ هذه القِوى الخارقة التي تُرى في مشاهدة القصص غير القرآني ليست إلاَّ خيالاً لا يُقيم لها الناس مكانا في الواقع[1].

إنَّ صدق الحدث الذي تحملُه المعجزة وواقعيته هو الذي يجمَع الناس عليه فانظر إلى القصة العادية التي يتملَّكُها الخيال والخداع فتجعل الناس ينفرون منها وتلك الغرائبية التي تتملك ذهن القاريء فتجعله يحكم عليها باللامعقول .

فها هي ذي ملكة سبإ خضعت "وأسلمت لله سبحانه بعد أن أراها سليمان **عليه السلام** بعض ما أتاه الله سبحانه من البينات والواضحات ، والدلائل القاطعات التي تدل على صدق نبوته وصحة رسالته ، فظهر بذلك أنَّها كانت تريد الحق وتنقاد له ، مع ما كانت عليه من أبهة الملك وقوة السلطان[2]. قالت : ﴿**رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾[النمل : 44] .

لقد عمل نبي الله سليمان **عليه السلام** كما أمره الله سبحانه ، فكان كل عمله شكرا لربه وتمكينا لدينه في الأرض ونشرا لعبادته بين الناس لقوله تعالى : ﴿**وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ**﴾[سبأ : 13][3]. وهو لم يستخدم تلك الطاقات التي سُخرت له إلاَّ في سبيل الحق والدعوة إلى الإيمان.

---

[1]- عبد الكريم الخطيب : القصص القرآني في مفهومه ومنطوقه ، ص148.

[2] - عبد الحميد محمود طهماز : المعجزة والإعجاز في سورة النمل ، ص75.

[3]- عبد الحميد محمود طهماز : المرجع نفسه ، ص48.

المبحث الثاني : التصوير الفني في قصة سليمان عليه السلام

التعبير القرآني يتناول القصة بريشة التصوير المبدعة التي يتناول بها جميع المشاهد والمناظر ، والقرآن في عرضه لتلك المشاهد يتحرى الدقة التامة في انتقاء ورسم الشخصيات ، وإبراز الحوار القصصي في صورة رائعة ، وللتصوير ألوان عديدة تتباين تبعا لموقعها من البيان القرآني[1] ، وقد قسَّمها سيد قطب إلى ثلاثة ألوان منها : لون يظهر في العرض وإحياء المشاهد ، ولون يظهر في رسم الشخصيات ولون يظهر في تخيل العواطف والانفعالات.

فالتصوير يجعل الحوادث والمشاهد والمناظر فيردُّها شاخصة حاضرة فيها الحياة وإذا أضيف إليها الحوار تدب فيها الحركة وتتقاطع فيها المشاعر لحتى تثير النظارة وتنقلهم نقلا إلى مسرح الأحداث الذي وقعت فيه ، فهذه شخوص تروح على المسرح وتغدو وهذه سمات الانفعال بشتى الوجدانات المنبعثة من الموقف المتساوقة مع الحوادث[2].

المطلب الأول : قوة العرض وإحياء المشاهد

يستند المشهد إلى إطار تنتظم فيه العناصر المشهدية في خضوعها إلى توزيع خاص داخل الحيز المشهدي ، فيكون منها ما نشاهده من توزيع للعناصر التصويرية داخل اللوحة الزيتية ، وقد توزَّعت على فسحتها توزيعا يكفل لعنصر من عناصرها الهيمنة والظهور[3] ، وهي تكتسب بناءها من الأحداث الموزعة على الزمان والمكان "والمشهد عبارة عن حدث متصل بالحدث الأصلي ويتبدل المشهد بتبدل الشخصيات"[4].

---

[1]- ينظر : نور الدين عتر ، علوم القرآن الكريم ، ط1 ، 1993 ، ص100.

[2] - ينظر : نور الدين عتر ، المرجع نفسه ، ص225.

[3]- حبيب مونسي : المشهد السردي في القرآن الكريم الرؤيا ، وبؤرة التشكيل السردي ، مجلة قراءات ، ص2.

[4]- التونجي : المعجم المفصل في الأدب ، ص794.

وتقسيم القصة إلى مشاهد يُمكِّننا من إمكانية ملاحظة المضامين السردية فيها ، فتتعدَّد الشخصيات وتتحدَّد الأدوار ، وتظهر الانفعالات والمشاعر في أروع صورة لا تصل إليها التقنيات المتبعة في التحليل السردي الحديث.

قصة سليمان عليه السلام مع الهُدهد وملكة سبإٍ تتخللُها تلك المشاهد المعروضة وهذه الأخيرة تَتخللُها تعقيبات تتضمَّن توجيهات دينية يُوضحها السياق فتتناسق التعقيبات مع المشاهد تنسيقا منظما وبديعًا فتمتزج القيمة الجمالية مع القيمة الدينية لتخدم الموقف[1] ولتوضيح هذا العنصر الفني نترقبُه وفق ما ورد في القصة على الترتيب مع تحديد الآيات :

المشهد الأول : يصور تفقُّد سليمان للطير فيُلاحِظ غياب الهدهد ، فيتوعَّد بعقابه إلا إذا جاء ببينة أو حُجة تبرر غيابه عن الصف (الآية : 20-21).

المشهد الثاني : يصور حضور الهدهد وإعلام سليمان بالنبإِ اليقين وأنَّه وجد امرأة في مملكة تعبد الشمس من دون الله ولها عرش عظيم ، فيحاول سليمان التأكد من صحة كلامه فيأمره بالعودة إلى تلك الملكة ومعه كتاب (الآية : 22- 28).

المشهد الثالث : يصور الملكة وقد وصلها الكتاب وهي تصفه بالكريم ، ثم تستشير قومها وتقرر أن تبعث بهدية لسليمان لترى ردة فعله (الآية : 29-35).

المشهد الرابع : يصور مشهد رسل الملكة وهديتهم أمام سليمان وهو ينكر عليهم إمداده بالمال مع التهديد والوعيد (الآية : 36-37).

المشهد الخامس : يصور سليمان وهو يُعد مفاجأة للملكة مع جنوده ، ثم يستعد لتنكير عرشها قبل مجيئها (الآية : 38-41).

[1]- ينظر : سيد قطب ، في ظلال القرآن ، ص2637.

المشهد السادس : يصور مشهد حضور الملكة إلى سليمان ورؤيتها عرشها من وراء التنكير ثم دخولها الصرح وجهلها حقيقته ، ثم إسلامها لله رب العالمين (الآية : 42-44).

عندما نقف أمام مشهد نحاول أن نَعد شخصياتِه ، نقيس نسبة الأفعال والأقوال من خلال الحوار ولا يُمكِننا أن نتخيل مشهداً من غير حركة ، وهو يستقل ببنيته الخاصة وإنزال الستار على المشهد يكون بداية لمشهد آخر.

المطلب الثاني : رسم الشخصيات

إنَّ رسم الشخصية في القصة القرآنية لون من ألوان التصوير بحيث تَبرُز سماتها وخصائصها وقصة سليمان عليه السلام مع الهُدهد وملكة سبإٍ من أشد القصص إبرازا لسمات الشخصية "فكان القرآن الكريم في عرضه لشخصياته نبراسًا يستضيء به الكثير من الأدباء وما ذاك شيء إلاَّ لإعجابهم بملامحه التصويرية وقوة عرضه المحكم"[1].

نلاحظ أنَّ القصة القرآنية تحرص في بعض الأحيان على أن تُبرز أشخاصها بأسمائهم أو هيئاتهم أو تُبرز الأماكن كذلك بأسمائِها أو صفاتها ، وفي بعض الأحيان تجهل ذلك أو تجاوزُه فلا تذكر شيئا منه[2] ، فهي تأخذ فقط ما يتناسب والعبرة من ذلك.

وهذا كله يرجِع إلى مكان الشخصية من القصة ، فإذا كانت من الشخصيات التي تدور حولها أحداث القصة ، كان لابدَّ من الكشف عنها بأن يُذكر اسم صاحبها وإن كانت ذا موقف لا يتجاوز حواشي القصة ، فليس من الضروري أن يُذكَر شيء عنه إنَّما يكتفي بأن يقال واحد من الناس يؤدي دورَه في القصة[3].

---

[1] - عمر محمد عمر باحادق : الجانب الفني في قصص القرآن الكريم ، ص126.

[2] - محمود السيد حسن مصطفى : الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية ، ص153.

[3] - ينظر : عبد الكريم الخطيب ، القصص القرآني في مفهومه ومنطوقه ، ص96.

وفي قصة سليمان عليه السلام نجد رسما بارعًا للشخصيات ، فنجد شخصية الرجل والمتمثلة في سليمان عليه السلام تقابلها شخصية ((النبي الملك)) ، ثم شخصية المرأة تقابلها ((شخصية الملكة)) ، بالإضافة إلى شخصية الطائر والمتمثل في هُدهد سليمان وكذلك الملأ من الإنس والجن ، وملأ ملكة سبإٍ ، فهاته الشخصيات نلمس فيها أوصافا كثيرة تحددت من خلال محاوراتها ، فعادة ما يكشف الحوار عن مكنونات الشخصية وما تتميز به ، فإمَّا أن تكون حسنة وإما العكس ، ولذلك سنحاول أن نستخرج مواصفات كل شخصية.

1- **شخصية سليمان عليه السلام :**

كان سليمان عليه السلام نبيا وملِكا متواضعًا لله سبحانه شاكرا له على نعَمه ، يتحدث دائما عن فضل الله عليه ومن ذلك قوله : ﴿**رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ**﴾[النمل : 19] .

ونجده في قصته مع ملكة سبإٍ نِعمَ الرجل ، فقد جمع الصفات النبيلة والقيم الجميلة فكان بحق شخصية فريدة يُعتد بها وقد ظهر جليا في هذه القصة ذلك الحزم والعزم والقوة والصرامة والاهتمام بالرعية.

قال تعالى : ﴿**وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لاَ أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ**﴾[النمل : 20] "هذا التفقد منه أدب الملوك والأكابر في استشفاف أمر الجند ومقابلة من أخلَّ منهم بمكانه بما يستحقه"[1].

[1]- محمد بن أبي الحسن النيسابوري : إيجاز البيان عن معاني القرآن ، تحقيق : حنيف بن حسن القاسمي ، دار الغرب الإسلامي ، ط1 ، 1995 ، مج1 ، ص631 و632.

وتفقُّد سليمان عليه السلام للطير ، وفقده الهدهد يدل على كمال حزمِه وتدبيره الملك بنفسه وكمال فطنته حتى تفقَّد هذا الطائر الصغير[1] ، ويدل ذلك على أنّه ضابط لشؤون جنوده فقد اتصف عليه السلام "بصفات اليقظة والدقة والحزم في إدارة شؤون مملكته فهو يتفقد جنده ، ولا يغفل عن جندي واحد منهم رغم كثرة عددهم واختلاف أجناسهم وأنواعهم"[2].

وإنَّه عليه السلام كان يراقب وضع البلاد بدقة لئلا يخفى عليه غياب شيء من الطيور وغيرها والدقة والمراقبة هي من مستلزمات الحكم ولمن بيده مقاليد الحكم.

ونلمس أيضا فيه صفة العدل ، فقد توعَّد بعذاب الهدهد أو ذبحه إلاَّ إذا جاء بحُجة بينة على تخلُفه قال : ﴿**لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ**﴾ [النمل : 21] "وهذا من كمال ورعِه وإنصافه إنَّه لم يقسم على مجرد عقوبَته بالعذاب أو القتل لأنَّ ذلك لا يكون إلاَّ من ذنب وغيبته تُحتمل أنَّها لعذر واضح فلذلك استثناه لورعه وفطنته"[3].

وهنا تظهر "صفة النبي الملك العادل عند سليمان عليه السلام فهو ليس مَلِكا جبَّارا في الأرض ، ولم يسمع بعد حُجة الهدهد الغائب فلا ينبغي أن يقضي في شأنه قضاء نهائيا ولهذا ختم تهديدَه بقوله : ﴿**أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ**﴾[النمل : 21] أي بحُجة واضحة تُبرِر غيابه وتبين عُذره في ذلك"[4].

---

[1] - عبد الرحمن ناصر السعدي : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، ص707.

[2] - عبد الحميد محمود طهماز : المعجزة والإعجاز في سورة النمل ، ص60.

[3] - عبد الرحمن ناصر السعدي : المرجع السابق ، ص707.

[4] - عبد الحميد محمود طهماز : المرجع السابق ، ص61.

لذلك فقد "برهن ((سليمان)) ضمنا أنَّه حتي بالنسبة للطائر الضعيف يستند في حُكمه إلى المنطق والدليل ، ولا يُعَول على القوة والقدرة أبدا"[1] ، ففي هذا المشهد الرائع نلاحظ شدة الملك وعدله فهو هنا مثال "الملك الحازم العادل فالنبأ العظيم لم يستخف ((الملك)) وهذا العذر لم ينه قضية الجندي المخالف للنظام والفرصة مهيأة للتحقيق كما يفعل ((النبي)) العادل والرجل ((الحكيم))"[2].

ونلمس أيضا شدة تواضعه أمام جُنده عندما قال له الهدهد : (أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ) [النمل:22] ، فسليمان **عليه السلام** "لم ينزعج من هذا التعريض ، ولم يجعله يغضب على الهدهد شأن المعجبين بعلمهم المغرورين بسلطانهم ومُلكهم"[3] ، فهو موصول القلب بالله يتواضع أمام خلقه وربما كان هذا ابتلاء له من الله عز وجل ، والحاكم قد لا يُلم بالأمور كلها ، وقد يغفل في أي لحظة .

ومن صفاته أيضا **عليه السلام** أنَّه كان عبداً شكور ﴿**فَلَمَّا رَآَهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ**﴾[النمل : 40] ، "فقد استيقظ ((النبي)) في نفس سليمان أمام نعمة الله التي تتحقق على يدي عبد من عباد الله وهنا يستطرد سليمان في الشكر على النعمة بما يحقق الغرض الديني للقصة"[4] ، وإنَّه لم يغتر بالقوة ولم يكن في تيه وبطر وتكبر وفساد بل كان متواضعا أمام قوة الله ، ذاكرًا له شاكرا لفضله.

---

[1]- سيد قطب : في ظلال القرآن ، ص 2635.

[2]- سيد قطب : التصوير الفني في القرآن ، ص 211.

[3] - عبد الحميد محمود طهماز : المعجزة والاعجاز في سورة النمل ، ص65.

[4]- سيد قطب : المرجع السابق ، ص214.

2- **شخصية الهدهد** :

نُلاحظ أنَّ دور الهُدهد في هذه القصة كدور الشخص العادي وهو "يقف من سليمان موقف المطلع الذي يعرِف من أخبار الممالك الأخرى ما يجهل النبي والذي يعرف من أمر الملكة وقومها"[1].

وها هو الهُدهد يرجع سريعا "وهو يعلم حزم الملك وشدة بطشه فهو يبدأ حديثه بمفاجأة يُعِدها للملك تُبَرر غيبته وافتتاحها يضمن إصغاء الملك إليه ، فأي ملك لا يستمع وأحد رعيَّته الصغار يقول : (أحطتُ بِمَا لَمْ تُحطْ بهِ) ثم ها هو ذا الغائب يعرض النبأ مفصلا وإنَّه ليحسن إصغاء الملك له واهتمامه بنبئه فهو يُطنب فيه ويُنكر على القوم سجودَهم للشمس"[2] ، ﴿**أَلاَّ يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ**﴾[النمل : 25] ، وهذا الاهتمام الكبير من الهُدهد في معرفة هؤلاء القوم "غيرته على دين التوحيد والإيمان ، فقد أنكر عليهم سجودهم للشمس من دون الله والله وحده أحق بالعبادة فهو رب العرش العظيم ، فقد كان الهُدهد داعية إلى الإيمان محاربا للشرك صاحب إيمان ودين والمسلمون أولى بذلك في كتابه الكريم"[3].

والمتأمل لكلام الهُدهد يجد نفسه أمام هُدهد أريب عجيب صاحب إدراك وفهم وإيمان فهو يُدرك أنَّ هذه ملكة وأنَّ من حولها رعية لها ، ويُدرك أنَّهم يسجدون للشمس من دون الله ، ويعرِف أنَّ السجود لا ينبغي إلاَّ لله الذي يُخرج الخَبء في السماوات والأرض وأنَّه سبحانه هو رب العرش العظيم[4].

---

[1]- محمد أحمد خلف الله : الفن القصصي في القرآن الكريم ، ص287.

[2]- سيد قطب : التصوير الفني في القرآن ، ص 211.

[3]- ينظر : صلاح عبد الفتّاح الخالدي ، مع قصص السابقين في القرآن ، ص646.

[4]- عبد الحميد محمود طهماز : المعجزة والإعجاز في سورة النمل ، ص61 و62.

كان الهُدهد موفَقا في استكشافه سبأ ذكيا في إطلاعه على مظاهر قوتها ، بليغا في تقديم تقريره الصادق عنها حيث ذَكر فيه خلاصة واقعها : ﴿**إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ**﴾[النمل : 23][1] ، ثم إنَّه جندي شجاع فقد خاطب سليمان عليه السلام بكل شجاعة وحزم وثبات ، قال : ﴿**أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ**﴾[النمل : 22] ، فهذه جرأة وشجاعة منه فهو كالواثق من نفسه فلا يضعف أمام سيده وهو على حق وصواب ، فهو إذن هُدهد خاص بشخصه وإدراكُه يعادل إدراك العقلاء من الناس.

إذن فقد "كان الهدهد موفدا خاصا من سليمان لملكة سبإٍ حيث حمل كتابه إليها ، لقد كان الهدهد يتحرك لدعوته ، ويحرص على نشر دينه ، فإذا كان الطير غير المكلف بذلك يحرص على القيام به ، فكيف المسلم الذي كلَّفه الله بذلك ، وأمره أن يقوم به"[2].

وهو في هذا الموقف "يقظ متنبه لكل ما يدور من الملكة وقومها من الناحية الدينية وهو يعجب من عبادتها للشمس وسجودها لها من دون الله ويرى أنَّ الشيطان هو الذي زين لها هذا العمل وصدها وقومها عن السبيل"[3].

3- شخصية ملكة سبإ :

في القصَص القرآني يبرز وجه المرأة كعنصر أصيل من عناصر هذا الفن القصصي حيث تأخذ المرأة مكانها فيه كإنسان وكامرأة معا.. ولهذا نشهدها في كل نشاط إنساني تحتمله إنسانيتها وأنوثتها في مجال الحدث القصصي[4].

---

[1] - صلاح عبد الفتّاح الخالدي : مع قصص السابقين في القرآن ، ص665.

[2] - صلاح عبد الفتّاح الخالدي : المرجع نفسه ، ص647.

[3] - محمد أحمد خلف الله : الفن القصصي في القرآن الكريم ، ص288.

[4] - عبد الكريم الخطيب : القصص القرآني في مفهومه ومنطوقه ، ص105.

حاكمة سبإ كانت امرأة ونقل كثيرون أنَّ اسمها كان ((**بلقيس**)) لكن هذا لم يُنقل بحديث صحيح ، ولهذا فنحن نتوقَّف فيه فلا نقول به ولا نرده ، ونتعامل معه كما نتعامل مع باقي مبهمات القرآن[1].

لم يُغفل القرآن ذكر المرأة باسمها إلاَّ حين لم يكن للاسم غرض خاص يتعلق به من حيث هو في ذاته تلك ، وذكر المرأة دون تعيينها بالاسم إنَّما يراد به التعميم بحيث تكون هذه المرأة دالة على جنسها كله ولو ذُكرت المرأة هنا معينة باسمها لكان الحكم أو الوضع لها بذاتها لخصيصة فيها ، ليست في جنسها من النساء[2].

ونرى المرأة في القرآن ملكة ذات دولة وذات سلطان ولها في قومها المكان الذي اكتسبته بعقلها وحكمتها وتدبيرها قبل أن تكسبه بملكها وسلطانها يتمثل ذلك في ملكة سبإٍ وما كان بينها وبين سليمان **عليه السلام**[3]. وصفت الملكة كتاب سليمان بأنَّه كريم "كما أنَّ هذا الوصف يشير إلى وعي الملكة وذكائها وحُسن تلقيها لكتب الملوك"[4].

إنَّ ملكة سبإ تمثل المرأة في مكان الحكم والقيادة فقد جمعت إليها دوي الرأي والنُصح ويظهر ذلك جليا من اهتمام المرأة بالمشورة والاستشارة ، "مما يدل على خصوصية في شخصيتها السياسية والاجتماعية لأنَّ مشاركة الناس في القرارات والأمور الحكومية والسياسية يدل على صحة وسلامة الحكم"[5].

---

[1] - صلاح عبد الفتّاح الخالدي ، مع قصص السابقين في القرآن ، ص646.

[2] - ينظر : عبد الكريم الخطيب ، القصص القرآني في مفهومه ومنطوقه ، ص116.

[3] - عبد الكريم الخطيب : المرجع نفسه، ص111.

[4] - صلاح عبد الفتّاح الخالدي : مع قصص السابقين في القرآن ، ص647.

[5] - منير كرجي : الرؤية القرآنية لدور المرأة في عهد الأنبياء ، ترجمة : عبد الغني البستاني ، ط1 ، 1429 هـ ص40.

والحكم في مملكة سبإٍ كان شوريا إن جاز التعبير فلم تكن الملكة تنفرد باتخاذ القرارات بل كانت تُشرك كبار دولتها معها ، وتستشيرهم في الأمر[1]. فها هي ذي تستشير قومها وهم يخضعون لها ومستعدون لتنفيد قرارها ، قالوا : ﴿**نَحْنُ أُولُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ**﴾[النمل : 33] ، قالت : ﴿**إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً**﴾[النمل : 34] .

وهنا تظهر ((المرأة)) من خلف ((**الملكة**)) المرأة التي تكره الحرب والتدمير ، والتي تمضي سلاح الحيلة والملاينة قبل سلاح القوة والمخاشنة والتي تتهيأ في صميمها لمواجهة ((**الرجل**)) بغير العداء والخصام[2].

لم تختر ملكة سبإٍ الحرب مع سليمان بل اختارت المفاوضات والسلام والمهادنة ولعل السبب في ذلك هو أنَّ المرأة لا تميل –بطبيعتها- إلى الحرب والقتال والعنف وسفك الدماء[3] ، "ولهذا لم يكن مكان المرأة في القصَص القرآني مستجلبا للإثارة والتشويق وإنَّما كانت المرأة حين كان لها مكان من هذه القصة أمَّا إذا لم يكن لها دور يستدعيه الموقف فلا يُجرى لها ذكر ، ولا يُفسَح لها مكان في القَصص القرآني بل تكون المرأة فيما يقتضيها السياق بحسب العبرة والموعظة التي تساق منها"[4].

وهكذا كانت ملكة سبإٍ "امرأة كاملة تتقي الحرب والتدمير وتستخدم الحيلة والملاحظة بدل المجاهرة والمخاشنة"[5]. قالت : ﴿**وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ**﴾[النمل : 35] ، فقد أرادت أن تختبر سليمان **عليه السلام** بهدية لترى ردة فعله.

---

[1] - ينظر : صلاح عبد الفتّاح الخالدي ، مع قصص السابقين في القرآن ، ص648.

[2] - سيد قطب : التصوير الفني في القرآن ، ص212.

[3] - صلاح عبد الفتّاح الخالدي : المرجع السابق ، ص649.

[4] - ينظر : عبد الكريم الخطيب ، القصص القرآني في مفهومه ومنطوقه ، ص113 و114.

[5] - سيد قطب : التصوير الفني في القرآن ، ص113.

كانت ملكة سبإ ذكية أمام السؤال عن العرش ، حين قيل لها : ((أهكذا عرشك)) ، فلم رأته لم تجزم بأنَّه ليس هو لأنَّه يُشبهه تماما ! ولم تُثبت أنَّه هو لأنَّها تركته وراءها ، فما الذي جاء به ووضعه أمامها ، فوقعت في حيرة أنقدها منها ذكاؤها وعقلها فأجابت((كأنَّه هو))[1].

كان جوابها "دليلا على شدة ذكائها وسرعة بديهتها وقوة فراستها ((قالت كأنَّه هو)) ولم تقل هو لاحتمال أن يكون مثله لا عينه ، فأتت بكلمة (كأنَّ) التي تدل على غلبة الظن لجواز أن يكون عرشها مع قيام الشك في أن يكون عرشا آخر غير عرشها ، ثم تُثبت أنَّها عرفت صحة نبوة سليمان قبل معجزة إحضار العرش"[2].

لمَّا دخلت الصرح وانخدعت بالتنكير أدركت خطأها "وعرفت أنَّها لا تملك شيئا بالقياس إلى قوة سليمان وأنَّها عاجزة عن مقاومته ، كما أدركت أنَّها على باطل لأنَّها مشركة بالله ، وأنَّ سليمان على حق وأنَّ دينه هو الصواب وقذف الله الإيمان في قلبها"[3] وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين.

4- الشخصيات الغيبية

هذه الشخصيات تمثل لنا "صورا مبهمة غامضة لا تتمثل في صورة البشر ولا تأتي في أثواب الرجال ومن هنا كانوا جديرين بهذا الإطلاق ((**الأرواح الخفية**)) : فإنَّنا نلمس حركاتها ونسمع أقوالها ونلاحظ انفعالاتها واضطراباتها النفسية فيما نقرأ ونسمع ، ولكنَّا لا نشاهد صورها الحسية كما هو الحال مع الملائكة"[4].

---

[1] - صلاح عبد الفتّاح الخالدي : مع قصص السابقين في القرآن ، ص652.

[2] - عبد الحميد محمود طهماز : المعجزة والإعجاز في سورة النمل ، ص73.

[3] - صلاح عبد الفتّاح الخالدي : المرجع السابق ، ص653.

[4] - محمد أحمد خلف الله : الفن القصصي في القرآن الكريم ، ص291.

ونجد في هذه القصة شخصية عفريت من الجن يعرض على سليمان ما له من طاقات "أما الجن فهم خلق لا نعرف عنهم إلاَّ ما قصه الله علينا من أمرهم في القرآن وهو أنَّه خلَقهم من مارج من نار وأنَّهم يرون البشر والبشر لا يرونهم وأنَّهم منهم طائفة آمنت برسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يرهم هو أو يعرف منهم إيمانهم ولكن أخبره الله بذلك إخبارا"[1] .

وقد سخَّر الله طائفة منهم لنبيه سليمان عليه السلام ، ويُعبِر عن ذلك بقوله في سورة النمل : ﴿**وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ**﴾[النمل : 17] .

أ- عفريت الجن :

وهذا أحد الجن الخادمين لسليمان يعرض عليه أن يخدمه بإحضار عرش ملكة سبإٍ إليه قبل أن يقوم من مجلسه الذي كان يجلس عليه للحكم والقضاء[2]. ﴿**قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ**﴾[النمل : 39] وهذا الجن من صفاته أنَّه كانت له قوة خاصة وخارقة للعادة .

وفي هذا الأمر نجد التفصيلات مبهمة حيث لم يذكر القرآن ولا الحديث الصحيح عنها شيئا فلا يجوز لنا أن نحاول بيان تلك المبهمات[3] ، فلم يُذكر اسم عفريت من الجن ولا كيف سيقدم العرش لسليمان قبل أن يقوم من مقامه.

---

[1]- سيد قطب : في ظلال القرآن ، ص2635.

[2]- ينظر : أحمد الشرباصي ، من أدب القرآن ، دار المعارف ، مصر ، دط ، ص212.

[3] - صلاح عبد الفتّاح الخالدي : مع قصص السابقين في القرآن ، ص651.

5- شخصيات مبهمة :

هناك شخصيات لم يذكر القرآن اسمها ، ولم يكشف عن وظيفتها الاجتماعية في الحياة بل اكتفى بذكر بعض ما لها من صفات نفسية أو روحية[1].

أ- الذي عنده علم من الكتاب :

﴿**قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ**﴾[النمل : 40]

"ولا ندري اسم الذي عنده علم من الكتاب ، ولا وظيفته عند سليمان ولا العلم الذي معه وكيف سيقدم العرش لسليمان قبل أن يفتح عينيه"[2].

ونحن لا نريد هنا أن نخوض فيما ليس لنا به علم ، ولا تهمنا معرفته لأنَّ علمه عند العليم الخبير ولهذا فشخصيته تظهر من خلال الطاقات والقوى التي كان يملِكها فهو هنا مثال للشخصية القوية الخارقة والأمر هنا "لا يتعلق بذات الشخص ، ولا بالوظيفة الاجتماعية التي يقوم بها ، وإنَّما الشأن كله فيما يشتمل عليه كيانه من قوى ، وما لهذه القوى من أثر في مجرى الحدث الذي تعرضه القصة"[3].

في إحضار العرش لسليمان كرامة للذي عنده علم من الكتاب ، ومعجزة لسليمان **عليه السلام** ومظهر لقدرة الله القادر ، وانتصار للحق ، وهزيمة للباطل الذي تُمثله ملكة سبإ[4] ، وهنا تظهر شخصية الذي عنده علم من الكتاب والمتمثلة في القوة وفي الخضوع لسليمان **عليه السلام** ولسلطانه.

---

[1] - عبد الكريم الخطيب : القصص القرآني في مفهومه ومنطوقه ، ص99.

[2] - صلاح عبد الفتّاح الخالدي : مع قصص السابقين في القرآن ، ص651.

[3] - يُنظر : عبد الكريم الخطيب ، المرجع السابق ، ص100.

[4] - صلاح عبد الفتّاح الخالدي : المرجع السابق ، ص661.

ب- ملأ ملكة سبإ :

قال الملأ من قوم الملكة حين شاورتهم في أمر سليمان : ﴿**نَحْنُ أُولُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ**﴾[النمل : 33] ، وهنا تظهر شخصية الملأ وشجاعتهم أمام الملكة بأنَّهم مستعدون للقتال إن أمرتهم بذلك وكعادة الجنود فإنَّهم مستعدون لكل أمر.

ومما تفرَّد به القرآن عنايته بالأبطال المجهولين ، فيخص لهم عددا من الآيات وتفاصيل من الحوار وإشادة بالمواقف ، ويُسلط عليهم من الأضواء أكثر مما يسلط على بعض الأنبياء[1].

المطلب الثالث : تصوير العواطف والانفعالات

إنَّ القصة القصيرة القرآنية تُعين على فهم أسرار النفوس ، وتُعرب عن العواطف المستورة ، وتترجم عن حدث يضفي على صاحبه البهجة أو الألم ، وبذلك كانت مع قصرها معبرة تماما[2].

جاء في القرآن الكريم وصف دقيق لكثير من الانفعالات التي يشعر بها الإنسان مثل الخوف ، والغضب ، والحب ، والفرح ، والكره والغيرة والحسد ، والندم ، والحياء والخزي[3].

والقصة القرآنية القصيرة "لم تكن ضعيفة في نقل العواطف ، بل اتسمت بالقوة والتصوير الدقيق ، كما هو الحال في كثير من القصَص القرآني الذي فيه شيء من التفصيل ، والتطويل الذي يناسب المقام ويقتضيه الحال"[4].

---

[1]- سعيد عطية علي مطاوع : الإعجاز القصصي في القرآن الكريم ، ص101.

[2]- عمر محمد عمر باحاذق : الجانب الفني في قصص القرآن الكريم ، ص213.

[3]- محمد عثمان نجاتي : القرآن وعلم النفس ، ص 71.

[4]- عمر محمد عمر باحاذق : المرجع السابق، ص 213.

وقد ظهر انفعال الغضب على نبي الله سليمان حين تفقَّد الطير ولاحظ غياب الهدهد قال :﴿**لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ**﴾[النمل : 21] وهو أحد جنوده في ذلك الموكب من جماعة الطير ، وقد "بدا على سليمان انفعال الغضب ونوى معاقبة الهدهد"[1] . إما بتعذيبه أو بذبحه إلاَّ إذا جاء بعذر وحجَّة تُبرر غيابه وهذا يأتي في سياق الانفعال الايجابي المصحوب بالحزم والصرامة واليقظة ، فحُكم سليمان يحتاج إلى الجدية والشدة في مثل هذه الأمور التي تحتاج إلى يقظة فكان هذا الانفعال في محله.

ولمَّا عاد الهدهد "رأى آثار الغضب في وجه سليمان ومن أجل أن يُزيل ذلك التجهم أخبره أولا بخبر مقتضب مهم إلى درجة أنَّ سليمان نفسه كان غير مطَّلع عليه بالرغم مما عنده من عِلم ، ولمَّا سكن الغضب عن وجه سليمان ، فصَّل الهُدهد له الخبر"[2].

وهناك مشهد آخر يصور انفعال الغضب عند سليمان عندما أرسلت إليه ملكة سبإ الهدية ، فكانت ردة فعله عنيفة ، واستنكر إمداده بالمال قائلا : ﴿**أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ**﴾[النمل : 36] ، فقد قابل هديتهم بغضب شديد وانفعال كبير يحمل تهديدا عنيفا بإطاحتهم أذلة وهم صاغرون. "وهذا ما نلمسه في نقل عواطف القصة القرآنية ، فهي تكشف عن الجوانب الإنسانية وتنقل الأحاسيس الداخلية بكل دقة وإحكام"[3].

---

[1] - طبارة عفيف عبد الفتاح : مع الأنبياء في القرآن الكريم ، دار الملايين ، بيروت ، ط22 ، 2003 ، ص294.

[2] - ناصر مكارم الشيرازي : قصص القرآن ، إعداد وتنظيم : السيد حسن الحسيني ، د ط ، ص326.

[3] - عمر محمد عمر باحاذق : الجانب الفني في قصص القرآن الكريم ، ص218.

ونلمس كذلك جانبا آخر من الانفعال عند ملكة سبإ حين عرض عليها جنودها مقاتلة سليمان ﴿**قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً**﴾[النمل : 34] فقد بدا عليها انفعال الخوف من خوض أي معركة خوفا على ملكها وقومها ، فخافت أن يشع الفساد والظلم ويُدَمر مُلكها.

وانفعال الخوف يجعل أي إنسان يتردد في اتخاذ القرار السليم ويدفعه للهروب من الخطر والعدوان "فكثير من الناس يخافون أن يبطش بهم الأقوياء ، وذوو النفوذ والسلطان والطغاة والظالمون"[1]. كذلك هو حال هذه الملكة التي تخاف على مُلكها وسلطانها وقومها وجندها من العدوان.

ونعود لنلمس انفعالا آخر لسليمان **عليه السلام** حين رأى عرش الملكة مستقرا عنده قال : ﴿**هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ**﴾[النمل : 40] ، فها هو يُسَر ويفرح لمثول العرش أمامه ، وعادة ما "يشعر الإنسان بانفعال الفرح أو السرور إذا نال ما تمناه وحصل ما يجب أن يحصل عليه من مال أو نفوذ أو نجاح"[2] ، فكان هذا الفرح متبوعا بشكر ربه على فضله.

وهناك انفعال واضح نجد صداه عند ملكة سبإ حين دخلت الصرح وفوجئت به لأنَّه كان مُمَرداً من قوارير ﴿**قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾[النمل : 44] ، فكان انفعال الندم والحسرة باديا عليها لمَّا أسلمت وجهها لله رب العالمين واعترفت بظلمها لنفسها ، فإنَّ "الندم حالة انفعالية تنشأ عند شعور الإنسان بالذنب وأسفه على ارتكابه ولومه لنفسه على ما فعل ، وتمنيه لو أنَّه لم يفعل ذلك"[3].

---

[1] - محمد عثمان نجاتي ، القرآن وعلم النفس ، ص78.

[2] - محمد عثمان نجاتي : المرجع نفسه ، ص94.

[3] - محمد عثمان نجاتي : المرجع نفسه ، ص103.

وهذه هي القصة القرآنية في جميع عواطفها تمتاز بالروعة ، وقوة التعبير عن الخلجات[1] سواء كانت عواطف سارة أو أليمة ، فهي تكشف عن أعماق النفس البشرية وتنقل الأحاسيس الداخلية بدقة وتُخرجها لنا حية مؤثرة.

إذن فالقصة القرآنية قد بُنيَت بناء محكمًا من عناصر فنية أكسبتها طابع الجمالية من حوادث حية وشخصيات فريدة ، وحوارات صادقة ، ومفاجآت شيِّقة ومعجزات خارقة مضى بها الزمن وحملها المكان في كنفه فكان الشاهد عليها ، فتكون بذلك أعمق في تأثيرها على النفس وفي تحريكها للمشاعر والوجدانات بأبهى صورة ، فكأنَّ هذه العناصر أشبه بنسيج يُحاك ليضعنا أمام حلة جميلة ذات ألوان زاهية ، بالإضافة إلى خصيصة التصوير التي اعتمدها القرآن بشكل كبير من رسم للشخصيات وتصوير للعواطف والانفعالات ، وعرض للمشاهد ، وهذا هو القص بأسمى معانيه وبطابعه المعجز وأسلوبه الشيق لا تبلغه يد إنسان مهما بلغ من الفصاحة والبيان.

[1] - عمر محمد عمر باحاذق : الجانب الفني في قصص القرآن الكريم ، ص219.

الفصل الثاني

القصة القرآنية

وأبعادها الجمالية

المبحث الأول : البناء الفنِّي والجمالي في القصة القرآنية

المطلب الأول : فنيِّة اللغة والصورة في قصة سليمان عليه السلام

أولا : النظم القرآني ووجه الإعجاز

إنَّ القص القرآني بديع النظم ، عجيب التأليف ، فيه تصرُف بديع ، ومعان لطيفة وتناسب في البلاغة وحِكم كثيرة ، وتشابه في العبارة وقوة لا تتفاوت ولا تتباين ، وإذا كان القص العادي قد يروقك في أثناء عرضِه عبارة تسحرك وكلمة تشدُّ سمعك ، فإنَّ القص القرآني يتمثل فيه الجمال بأسمى معانيه ، وسحر تُفتَن به النفوس المؤمنة والعقول المفكرة فكل عبارة قصصية تُطرَب لها النفس ، وتَتشوَّق إليها البصائر[1].

ويُقصد بنظم القرآن طريقة تأليف حروفه ، وكلماته وجملِه وسكبها في قالب مُحكَم ثم طريقة استعمال هذه التراكيب في الأغراض مع أخواتها ؛ للدلالة على المعاني بأوضح عبارة في أعذب سياق وأجمل نظم[2] .

والنظم القرآني هو "النظم البديع المخالف لكل نظم معهود في لسان العرب وفي غيرها لأنَّ نظمه ليس من نظم الشعر في شيء"[3]. يقول الجرجاني : «اعلم أنَّ ليس النظم إلا أن تضعَ كلامك الوضع الذي يقتَضِيه»[4].

---

[1] - ينظر : عمر محمد عمر باحاذق ، الجانب الفني في قصص القرآن الكريم ، ص188.

[2] - ينظر : مصطفى مسلم ، مباحث في إعجاز القرآن ، دار المسلم ، الرياض ، ط2 ، 1996 ، ص141.

[3] - نور الدين عتر : علوم القرآن الكريم ، ص205.

[4] - عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز ، تعليق : محمود محمد شاكر ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط5 ، 2004 ص454.

جاء القرآن منفردًا بنظمه في هذا الأسلوب الفريد العجيب ، فالعرب عرفت الشعر الموزون المقفى ، والنثر المرسل كما عرفت النثر المسجوع في خطب الخطباء والحكماء وفي سجع العرَّافين والكُهَّان ، ولكنَّها أبدا لم تعرف مثل هذا الأسلوب الجديد الفريد[1].

فالقرآن تحدى العرب أن يأتوا بسورة واحدة من مثله ، ولو كانت من قصار سوره وإذا علمت أنَّ عدد آيات القرآن يزيد على ستته آلاف آية علمت كم عدد المعجزات في القرآن الكريم ، فضلا عن النظم فيما يحمله من أوجه الإعجاز المتعددة فتكون معجزاته بذلك كثيرة متنوعة يضيق عنها الحصر والتعداد[2] ، قال تعالى : ﴿**قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا**﴾[الإسراء : 88] .

والفرق بين الأسلوب والنظم : أنَّ دائرة الأسلوب أوسع وأشمل ولا يُدرك الأسلوب بالجملة الواحدة ، بينما النظم يمكن إدراكه في الجملة الواحدة بل وحتى في الكلمة الواحدة[3].

1- دلالة الألفاظ :

يتأنَّق أسلوب القرآن في اختيار ألفاظه ، ويؤدي معناه في دقة فائقة ، تكاد بها تؤمن بأنَّ هذا المكان كأنَّها خُلقَت له تلك الكلمة بعينها ، وأنَّ كلمة أخرى لا تستطيع توفية المعنى الذي وَفت به أختها فكل لفظة وُضعَت لتؤدي نصيبها من المعنى وأقوى أداء[4].

---

[1]- مصطفى الدباغ : وجوه من الإعجاز القرآني ، مكتبة المنار ، الأردن ، ط1 ، 1982 ، ص23.

[2] - ينظر : نور الدين عتر ، علوم القرآن الكريم ، ص194.

[3]- مصطفى مسلم : مباحث في إعجاز القرآن ، ص141.

[4]- ينظر : أحمد بدوي ، من بلاغة القرآن ، إشراف : داليا محمد إبراهيم ، نهضة مصر ، طبعة 2005 ، ص51.

وإذا تأمَّلت في الكلمات التي تتألف منها الجمل القرآنية رأيتَها تمتاز بمميزات :

1- جمال وقعِها في السمع

2- اتساقها الكامل مع المعنى

3- اتساع دلالاتها لما تسع له عادة دلالات الكلمات الأخرى من المعاني والمدلولات[1].

لا شك أنَّ المتأمل في حروف القرآن الكريم وكلماته لا يجد فيها شيئا خارجًا عن المألوف المتداول في لغة العرب قديما وحديثا ، وعندما نتلوا آيات الله نستشعر أنَّ للعبارة القرآنية كيانا خاصًا يُبنى عليه تركيب الجملة لرسم معالم الصورة الفنية للنظم القرآني الفريد الذي لا يتفاوت ولا يتباين[2].

لكن هذا الكلام المألوف والمعروف حين ضمَّه القرآن إليه ، ونظَم منه آياته وصوره ، أحكامه وقصصه ، مواعظه وزواجره ، هذا الكلام قد أصبح مند ذلك اليوم معجزة قاهرة تتحدى الناس جيلا بعد جيل وأمة بعد أمة[3].

لو تدبَّرت ألفاظ القرآن في نظمِها لرأيت حركاتها الصرفية واللغوية تجري في الوضع والتركيب مجرى الحروف أنفسها فيما هُيئ لها من أمر الفصاحة ، فيساند بعضها بعضا ولن تجدها إلاَّ مؤتلفة مع أصوات الحروف مساوقة لها في النظم الموسيقي[4] وفي قصة سليمان عليه السلام مع الهدهد وملكة سبإ نجد أنَّ هناك نظما معجزا من خلال الألفاظ الواردة في آيات القصة.

---

[1]- محمد السيد شيخون : الإعجاز في نظم القرآن ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة ، ط1 ، 1978 ، ص77.

[2]- محمد سعد الدبل : النظم القرآني في سورة الرعد ، عالم الكتب ، دط ، ص32.

[3]- ينظر : عبد الكريم الخطيب ، الإعجاز في دراسات السابقين ، ص144.

[4]- ينظر : مصطفى صادق الرافعي ، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ط9 1973 ، ص227.

قال تعالى : ﴿**وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لاَ أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ**﴾[النمل : 20] .

قال : (تَفَقَّدَ) بدلاً من غيرها لأنَّ التفقد هو تعرف فقدان الشيء ، فكان اللفظ مناسبا تماما لغياب الهدهد ولو كان موجودا لتغير اللفظ لما يناسب المقام كطلب أو استدعى فالتعبير القرآني يختار أجمل الألفاظ لأبهى تعبير ، من رقة في الصياغة وجودة في التأليف.

إنَّ المتمعن في النظم القرآني يُلاحِظ التناسق الكامل والتآلف التام بين العبارة القرآنية والمعنى الذي يُراد بيانه وتوضيحه ، فالألفاظ في النظم يلائم بعضُها بعضا وهي كُلها متوجهة إلى الغرض المنشود بحيث إذا كان المعنى غريبًا كانت ألفاظه غريبة و إذا كان المعنى معروفا مستحدثا كانت الألفاظ مستحدثة[1].

قال : ﴿**لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ**﴾[النمل : 21] .

قال : (لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا) ، (أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ) فبدأ بالتعذيب الشديد قبل الذبح "لأنَّ التعذيب الشديد أشد وأمر من الذبح ، فالتعذيب موت في كل لحظة ومتكرر دون أن تفارق الروح الجسد ، أمَّا الذبح فهو الموت مرة واحدة فيكون أخف من التعذيب"[2].

فالقرآن الكريم جاء في صورة فريدة ومتميزة ، ومعجزة خارجة عن المألوف من كلام العرب ، فانظر إلى نظمه "وعجيب معناه وموضع اتفاقه في هذا الكلام ، وتمكن ألفاظه وملاءمته لما قبله"[3].

---

[1] - ينظر : مصطفى مسلم ، مباحث في إعجاز القرآن ، ص143.

[2] - فايز وضاح الخطيب : الإعجاز القرآني البياني في آيات قصة سليمان عليه السلام مع ملكة سبإ ، مجلة جامعة دمشق ، المجلد17 ، العدد2 ، 2001 ، ص309.

[3] - أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني : إعجاز القرآن ، تحقيق : السيد أحمد صقر ، دار المعارف ، مصر ، القاهرة د ط ، ص191 و192.

قال تعالى : ﴿**فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ**﴾ [النمل : 22] .

قال : (فَمَكَثَ) دون غيرها ، لأنَّ الهُدهد لم يبق طويلا أمام سليمان ، فالمدة كانت قصيرة ولو كانت طويلة لقال لبِث ، وهذا من كمال الإعجاز اللغوي ، أما لبِث فقد عبَّر عنها القرآن بالمُدد الطويلة من ذلك قوله تعالى عن أصحاب الكهف : ﴿**وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا**﴾[الكهف : 25] ، "وأمَّا نهج القرآن ونظمِه وتأليفه ورصفه ، فإنَّ العقول تتيه في جهته وتحار في بحره وتضل دون وصفه"[1].

قال : (أَحَطتُ) دون غيرها لأنَّ الإحاطة هي العلم بالشيء من جميع الجهات ، فالهُدهد علم بكل ما يحيط به من جميع الجوانب حتى لا يخفى عليه معلوم فعبَّر عن ذلك بأحطت لأنَّها تناسب المقام.

ولهذا فإنَّك لا تجد في القرآن كلمة معيبة من حيث الصورة أو الاستعمال ولا تجد فيه لفظا قلقا مضطربا أو نابيا في موضِعه إلى آخر تلك العيوب التي يُردِدُها نُقاد الشعر وخبراء الأساليب[2] ، قال تعالى : ﴿**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا**﴾[النساء : 82] .

قال : (وَجِئْتُكَ) ، ولم يقل أتيتُك "ليعلم أنَّ ما رآه وجاء به وعلِمَه إنَّما هو بوحي رباني وليس مصادفة ومن عنده فقط ، وذلك لأنَّ الإتيان يكون باجتهاد من النفس"[3].

---

[1]- أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني : إعجاز القرآن ، ص183.

[2]- عبد العظيم بن إبراهيم المطعني : خصائص التعبير القرآني وسماتُه البلاغية ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط1 1992 ، ج1 ، ص246.

[3]- فايز وضاح الخطيب : الإعجاز القرآني البياني في آيات قصة سليمان عليه السلام مع ملكة سبإ ، ص310.

وإنَّك لتَحار إذا تأملت تركيب القرآن ونظم كلماته في الوجوه المختلفة التي يتصرَّف فيها وتقعُد بك العبارة إذا أنت حاولت أن تمضي في وصفه حتى لا ترى في اللغة كلها أدل على غرضك وأجمع لما في نفسك وأبين لهذه الحقيقة غير كلمة الإعجاز[1].

قال : (بِنَبَإٍ) ولم يقل بخبر ، لأنَّ النبأ كلام خطير الشأن وذو فائدة عظيمة وخاصة أنَّ الهُدهد قد التقطه من مكان بعيد هي سبأ المعروفة بحضارتها.

قال : ﴿**إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ**﴾[النمل : 23] .

قال : (وَجَدتُّ) ولم يقل : شاهدت ، أو سمعت ، "فوجد بالبصر والبصيرة ، فقد كان منه مشاهدة بالبصر ، واعتبار لحالها بالبصيرة ولولا ذلك لم يكن له أن يحكم بقوله"[2] وجدتها وليؤكد لسليمان أنَّ ما جاء به حقيقة ويقين لا يحتمل الشك ، "ومعاني ألفاظ القرآن متناسقة مع السياق الذي وردت فيه ، وتلتقي مجتمعة على تقرير المعنى العام للعبارة القرآنية"[3].

قال : (تَمْلِكُهُمْ) بكسر اللام ولم يقل : (تَملُكُهُمْ) بضم اللام ليُخبر سليمان أنَّ حُكمها كان عادلا لأنَّ النص القرآني يستخدم كلمة يملِك بكسر اللام بالنسبة للحكم العادل في حين يستخدم كلمة يملُك بضم اللام ، لحكم الظلم والجبروت[4].

فالنظم القرآني هو أبين وجه من وجوه الإعجاز البلاغي وأول ما يبدو في نَظمه تلك الصورة الفريدة التي جاء عليها في بناء كيانه وفي رسم صورته وتلوينها وتحديد معالمها فإذا به لا يشبه غيره ولا يشبهه غيره[5].

---

[1] - مصطفى صادق الرافعي : إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، ص246.

[2] - الراغب الأصفهاني : مفردات ألفاظ القرآن الكريم ، ص855.

[3] - صلاح عبد الفتاح الخالدي : إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني ، دار عمار ، عمان ، ط1 ، 2000 ص132.

[4] - ينظر : فايز وضاح الخطيب ، الإعجاز القرآني البياني في آيات قصة سليمان عليه السلام مع ملكة سبإ ، ص311

[5] - مصطفى الدباغ : وجوه من الإعجاز القرآني ، مكتبة المنار ، الأردن ، ط1 ، 1982 ، ص23.

فانظر إلى هذه الكلمات الشريفة والقيمة بعد أن وصفت الملِكة كتاب سليمان بالكريم في قولها : ﴿**يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ** ﴿٢٩﴾ **إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ** ﴿٣٠﴾ **أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ**﴿٣١﴾﴾[النمل : 29 -31] ، "والخلوص من ذلك إلى ما صارت إليه من التدبير ، واشتعلت به من المشورة ، ومن تعظيمها أمر المستشار ومن تعظيمهم أمرها وطاعتها بتلك الألفاظ البديعة ، والكلمات العجيبة البليغة"[1]. قالت : ﴿**يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ**﴾ [النمل : 32] .

والقرآن الكريم يُحسن اختيار الألفاظ ووضعها موضعها ، وبذلك يحسن في إصابة المعنى المقصود من ذلك قولهم : ﴿**نَحْنُ أُولُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ**﴾[النمل : 33] "فانظر –إن شئت- إلى شريف هذا النظم ، وبديع هذا التأليف وعظيم هذا الرصف على أنَّ كل كلمة من هذه الآية تامة وكل لفظ بديع واقع"[2].

فهؤلاء القوم يُظهرون الخضوع والولاء للملِكة ونحن لا نجد في صفتهم أنفسهم أبرع مما وصفهم به القرآن ، وموضع اتفاقه في هذا الكلام وتمكُّن الفاصلة وملائمة لما قبله وقوله : (فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ) هذا إيحاء بالقدرة على أحداث الخوارق والاستعداد لكل هول ، والخبر هنا يفيد الفخر والاعتزاز ويدل على النفوذ الواسع وشدة البأس كما عبَّر عنه بضمير الجمع (نَحْنُ) ، وقال (أُولُوا قُوَّةٍ) ولم يقل (أقوياء) لأنَّها أبلغ في الدلالة وأعظم أثرا في النفس[3].

[1] - أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني : إعجاز القرآن ، ص191.

[2] - أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني : المرجع نفسه ، ص187.

[3] - ينظر : محمود السيد حسن مصطفى ، الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية ، ص71.

يتبين لنا أنَّ تركيب القرآن يمثِل روح الفطرة اللغوية في العرب وأنَّه لا سبيل إلى صرفه عن نفس أحد من العرب ، فهو وجه الكمال اللغوي الذي عرَف أرواحهم واطلع على قلوبهم[1].

والكلمة في الحقيقة الوضعية إنَّما هي صوت النفس ؛ لأنَّها تلبس قطعة من المعنى فتختص به على وجه المناسبة قد لحظته النفس فيها من أصل الوضع حين فُصِّلت الكلمة على هذا التركيب[2] ، وهذا الاختصار والإيجاز المعجز أتى في موضعه ومحله.

وفي قول ملكة سبإ : ﴿**إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً**﴾[النمل : 34] ، انظر إلى هذه الكلمات كل واحدة منها وُضعت في مكانِها المناسب فجاءت مرتبة ومتناسقة مع بعضها البعض وكأنَّها خُلقت لذلك الموضع وجاء معناها مناسبا تماما لمقتضى الحال وهي ذات رونق عجيب وإعجاز لغوي فريد .

وانظر إلى كل كلمة فإنَّك لتجدُها من عجيب النظم ، وبديع الرصف فكل كلمة لو أُخرَت كانت في الكلام غاية ، وفي الدلالة آية ، فكيف إذا قارنتها أخواتها وضامتها ذواتها ما تجري في الحسن مجراها و تأخذ في معناها[3] ، فالألفاظ في القرآن مختارة منتقاة ليس فيها عيب ولم يأت لفظ مكان آخر.

ففي نظم القرآن تكون الألفاظ متناسقة متلائمة قوية في الدلالة بليغة في التصوير ذات طابع فريد ، وكل كلمة تقتضي مقاما مناسبا دون تبديل أو تغيير "ولقد زعمت الأعراب يوما الإيمان وحكى القرآن الكريم قولهم (**آمنا**) ولكن الله سبحانه أراد أن يُرشدَهم إلى

[1] - محمود السيد حسن مصطفى : الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية ، ص67.

[2] - مصطفى صادق الرافعي : إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، ص220.

[3] - أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني : إعجاز القرآن ، ص190.

التعبير الصحيح ، ويدلَّهم على الكلمة التي تُفصح عما في نفوسهم فقال تعالى : ﴿**قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ**﴾[الحجرات : 14]"[1].

فالدقة في التعبير والحيطة في استعمال الكلمة مطلب قرآني حرص عليه ونبَّه المؤمنين إليه حتى لا تضل المعاني بين الأفهام ويضيع المقصود من خلال الاحتمالات[2] وانظر إلى ما يقوله الجاحظ في إعجاز القرآن : "ولو أنَّ رجلا قرأ على رجل من خطبائهم وبلغائهم سورة قصيرة أو طويلة لتبيَّن له في نظامها ومخرجِها من لفظها وطابعها ، أنَّه عاجز عن مثلها ولو تحدى بها أبلغ العرب لأظهر عجزه عنها"[3].

وقد يظن صاحب الفطرة النقية والسليقة العربية أنَّ بالإمكان التغيير أو التبديل لكن هذا لا يكون فقدرته مهما بلغت قدرة بشر فأين هي قدرة الله ومن صنعه ؟ ﴿**صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ**﴾[النمل : 88][4].

ومن أمثلة نظوم القرآن الأخرى في سرد القصص أنَّ الكلمة قد تجيء في الآية كأنَّها في الظاهر معها ، وهي في الحقيقة غير متصلة بها ، من ذلك قوله تعالى في الآية الكريمة : ﴿**قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ**﴾[النمل : 34] ، فهذا المقطع من الآية (وكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ) هي من قول الله جل وعلا شأنه لا من قول ملكة سبإ وهذا نظم عجيب فعلا[5].

---

[1]- عبد الفتاح لاشين : ابن القيم وحسه البلاغي في تفسير القرآن ، دار الرائد العربي ، بيروت ، لبنان ، ط1 1986 ، ص78.

[2]- عبد الفتاح لاشين : المرجع نفسه ، ص78.

[3]- عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز ، ص251.

[4]- عبد الفتاح لاشين : المرجع السابق ، ص78.

[5]- ينظر : محمود السيد حسن مصطفى ، الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية ، ص88.

ولقد صارت ألفاظ القرآن بطريقة استعمالها ووجه تركيبها كأنَّها فوق اللغة ولا تقع لأحد من البلغاء أو الفصحاء ، لأنَّها في القرآن تتميز وتظهر في تركيب خاص معجز ولهذا ترتفع إلى نوع أسمى من الدلالة اللغوية والبيانية[1].

إذا انتقلنا من ألفاظ القرآن الدقيقة إلى معانيها فإنَّنا نجد هذه المعاني في غاية الروعة وسمو البيان ، وبذلك يتكامل اللفظ والمعنى ويلتقيان على تحقيق بلاغة البيان القرآني المعجز[2].

يقول الجرجاني : فالنظم «ليس شيئا غير توخي معاني النحو فيما بين الكلم وإنَّك تُرتب المعاني أولا في نفسك ثم تحذو على ترتيبها الألفاظ في نطقك ، وأنَّا لو فرضنا أن تخلو الألفاظ من المعاني ، لم يتصور أن يجب فيها نظم وترتيب»[3]. فهو لا يتصور لفظا من دون معنى ، فلو خلت الألفاظ من المعاني لا يكون هناك نظم ولا ترتيب بين الكلم ويقول بضرورة ترتيب المعاني أولاً في النفس ثم ترتيب الألفاظ في النطق.

ومن نظوم القرآن ما يُسمى بالخروج فالقرآن "إنَّما يأتي الكلام فيه وبعضه يستدعي بعضا ، فآخر الآية أو الجملة ما يليها ، فيأتي ذلك المعنى الجديد دون أن نستشعره وينتج من ذلك إحكام الاتصال وشدة التداخل مما لا نشعر معه بفرجة أو انتقال وهو من أظهر الخصائص"[4]. "وهو الانتقال من معنى إلى معنى ويسمونه (حسن التخلص) وهو امتزاج ما يقدمه الشاعر ما بين المدح أو الذم أو غيرهما ، وقد ذهب بعض المتكلمين إلى أنَّه أحد

[1]- محمود السيد حسن مصطفى : الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية ، ص80.

[2]- صلاح عبد الفتاح الخالدي : إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني ، ص132.

[3]- عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز ، ص454.

[4]- ينظر : محمود السيد حسن مصطفى ، الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية ، ص83.

وجوه الإعجاز"[1].

وفي قصة سليمان عليه السلام مع الهدهد وملكة سبإ نجد أنَّ هناك انتقالا من معنى إلى معنى آخر من خلال الآيات ، يقول الهدهد مخاطبا سليمان : ﴿**إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ** ﴿23﴾ **وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لاَ يَهْتَدُونَ**﴿24﴾﴾ [النمل : 23- 24] .

وإذا به يُغَير كلامه "وينتقل إلى هؤلاء المشركين بأن يكفوا عن مظهر الشرك ويُخلصوا في عبادتهم لله وحده فخرج الكلام"[2] بقوله : ﴿**أَلاَّ يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ**﴾[النمل : 25] ، وكأنَّ الهُدهد يوجه الأنظار إلى عبادة الله الواحد الذي وحده يملِك كل شيء وهذا من بديع النظم.

وهكذا نرى سياق القصة يسير على هذا النحو في كثير من مواضع القرآن ولا يخفى علينا أنَّ هذه المعاني وإن انتقلت من موقف إلى آخر إلا أنَّها تُعتَبر من بديع النظم القرآني ويَترتَّب عليها آثار جليلة في النفس يُدرِكها حُذَّاق اللغة[3].

وإنَّ صناعة القرآن "قد أرت نُقاد الفنون وخبراء الأساليب روعة الانسجام بين الألفاظ والمعاني المختلفة في جوهرها ، فهو على ما امتاز به أسلوبه من اجتناب سبيل الإطالة والتزام جانب الإيجاز بقدر ما يتَّسع له جمال اللغة قد جعله أكثر الكلام افتنانا في شؤون

[1]- ينظر : ابن أبي الإصبع ، بديع القرآن ، مطبعة الرسالة ، القاهرة ، دط ، ص146.

[2] - محمود السيد حسن مصطفى : الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية ، ص86.

[3]- محمود السيد حسن مصطفى : المرجع نفسه ، ص86.

القول ، وأسرعه تنقلا بينها من وصف إلى قصص إلى تشريع إلى جدل إلى ضروب شتى من المعاني والفنون تبدو وكأنَّها واحدة"[1].

ومن طرائف ما رواه الأصمعي رواية العرب بأنَّه مرَّ بفتاة نصرانية من بني تغلُب فقرأ أمامها آية من القرآن أخطأ في فاصلتها ، تلا آية حد السرقة : (وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) فردَّته الفتاة النصرانية وقالت له : أخطأت فأعاد قراءة الآية : ﴿**وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾[المائدة : 38] ، ثم سألها كيف عرفت أنِّي أخطأت ؟ هل تحفظين القرآن ؟ قالت : لا أنا نصرانية لكن لا تتناسب المغفرة مع قطع اليد وإنَّما تتناسب معه العزة ، لأنَّ الله : عز فحكم فقطع يد السارق[2].

لذلك وجب أن "تكون ألفاظ الكلام ملائمة للمعنى المراد فإن كان فخما كانت ألفاظه فخمة أو جزلا فجزلة أو غريبا فغريبة ، أو متداولا فمتداولة أو متوسطا بين الغرابة والاستعمال فكذلك"[3].

وفي قصة سليمان **عليه السلام** مع الهدهد وملكة سبإ نجد الألفاظ مؤتلفة مع المعاني ولا يمكن الفصل بينها وهذا هو النظم المعجز ، فلا نقص في تركيب ولا اضطراب في المعنى لكن تناسق وحسن نظم وترتيب.

يقول الباقلاني : «وإن أردت أن تتبيَّن ما قلناه فضل تبين ، وتتحقَّق بما ادعيناه زيادة تحقُق ، فإن كنت من أهل الصنعة فاعمد إلى قصة من هذه القصص ، وحديث من هذه

[1]- ينظر : عبد العظيم إبراهيم المطعني ، خصائص التعبير القرآني وسماتُه البلاغية ، ص398.

[2]- ينظر : جلال الدين السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، دمشق ط1 ، 2008 ، ص321.

[3]- جلال الدين السيوطي : المصدر نفسه ، ص593.

الأحاديث ، فعبر عنه بعبارة من جهتك ، وأخبر عنه بألفاظ من عندك ، حتى ترى فيما به من النقص الظاهر ، وتتبين في نظم القرآن الدليل الباهر»[1].

فالقرآن الكريم جاء في صورة خاصة فريدة ومتميزة ، فلا هو شعر ولا هو نثر ولا هو سجع ، وإنَّما هو قرآن ، فالآية في النظم القرآني ، ليست بيت شعر أو جملة نثر أو مقطع سجع ، بل هي قطعة من القرآن لها بداية ونهاية متضمنة في سورة ولكل آية مقطع تنتهي به الفاصلة وهي شاهد قرآني لا يوجد إلا فيه ولا يعتدل في كلام غيره[2].

ثانيا : دلالة الصور البلاغية

أمَّا القرآن الكريم فقد جاء فيه البيان مقدرا أحسن تقدير ، فهو يؤدي لك الصورة وافية نقية لا يشوُبها شيء مما هو غريب عنها ، كل ذلك في أوجز لفظ وأنقاه ، كما قال أبو بكر الباقلاني : « محاسن تتوالى ، وبدائع تترى»[3].

أ- التشبيه :

التشبيه من وسائل التعبير التصويرية يستمد قوَّته من الخيال ، فكما أنَّ الرسم والتصوير يعتمد على الأصباغ والأحجار التي تؤلَف وتصقَل لترمز إلى طبيعة جميلة أو فاتنة ساحرة أو عبقرية نادرة ، نجد التشبيه يشاركهما في الإفصاح عن الفكرة والتعبير عن العاطفة بما فيه من عنصر الخيال الذي يقابل تلك الأصباغ والأحجار[4].

---

[1]- أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني : إعجاز القرآن ، ص190.

[2] - ينظر : مصطفى مسلم ، مباحث في إعجاز القرآن ، ص142.

[3] - ينظر : نور الدين عتر ، علوم القرآن الكريم ، ص211.

[4]- عبد الفتاح لاشين : البيان في ضوء أساليب القرآن ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، طبعة 1998 ، ص106.

فالتشبيه هو عقد مماثلة بين شيئين أو أشياء لاشتراكهما في معنى ما بأداة ملفوظة أو ملحوظة ، فالكاف ونحوها لغرض مقصود[1]، ومن التشبيهات الواردة في قصة سليمان عليه السلام مع الهدهد وملكة سبإ نجد :

1- قال تعالى : ﴿**فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ**﴾ [النمل : 42] .

قال : (أهكذا عرشك ؟) : تشبيه مرسل مجمل لأنَّه احتوى على الأداة والمشبه به وكأنَّ سليمان عليه السلام يقول أعرشك مثل أو يشبه هذا العرش ، وكان الغرض منه هو اختبار ذكاء الملكة وفطنتها.

قالت (كأنَّه هو) والتشبيه هنا مرسل مجمل كذلك فكأنَّه عرشها في الشكل والوصف فكأنَّ "إنما تُستعمل حيث يقوى المشبه حتى يكاد الرائي يشك في أنَّ المشبه هو المشبه به أو غيره"[2] ، فكأنَّ عادة يليها المشبه ويأتي بعدها مباشرة.

والتشبيه في القرآن تعود فائدته إلى المشبه تصويرا له وتوضيحا ، ولهذا كان المشبه به دائما أقوى من المشبه وأشد وضوحا[3]. "ليس الحس وحده هو الذي يجمع بين المشبه والمشبه به في القرآن ، ولكنَّه الحس والنفس معا ، بل إنَّ للنفس النصيب الأكبر والحظ الأوفى"[4] ، "ويهدف التشبيه في القرآن إلى ما يهدف إليه كل فن بلاغي فيه ، من التأثير في العاطفة فترغب أو ترهب"[5].

---

[1]- عبد الفتاح لاشين : المرجع نفسه ، ص35.

[2]- الزركشي : البرهان في علوم القرآن ، تحقيق : أبو الفضل الديمياطي ، دار الحديث ، طبعة 2006 ، ص561.

[3]- أحمد بدوي : من بلاغة القرآن ، ص150.

[4]- أحمد بدوي : المرجع نفسه ، ص148.

[5]- أحمد بدوي : المرجع نفسه ، ص157.

ولا شك في أنَّ تشبيه الشيء بغيره يهدف إلى تقرير المشبه في النفس بصورة المشبه به أو معناه ، وخاصة إذا كان التشبيه رائعا جيدا يُدرِك المتفنن ما بين الأشياء من صلات يمكن أن يستعين بها في توضيح شعوره ومن ثم يُثير في النفس مشاعر الاستحسان والارتياح ؛ لما في تعبيره وتصويره من جدة وطرافة[1].

ب- الاستعارة

أمَّا الاستعارة في القرآن فقد بلغت حد الإعجاز فيه ، فهي لون من ألوان التصوير التي اتخذها ، وأداة من الأدوات المفضلة إليه في التعبير عن معانيه[2] ، "والاستعارة تبدأ حين ينتهي التشبيه ، إذ مبناها عليه ، وتقوم على تناسيه وادعاء أنَّ المشبه هو المشبه به نفسه ، وكلما أوغلنا في هذا التناسي كانت بلاغة الاستعارة"[3].

الاستعارة "هي اللفظ المستعمل في غير ما وُضع له لعلاقة المشابهة بين المعنى الأصلي للكلمة والمعنى الذي نُقلَت إليه الكلمة مع وجود قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي"[4] ، "وهي تلك التي تُعبِر عن الغرض في تصوير بارع قليل ، له أثره في نفس السامع من غير إطالة ولا إطناب"[5].

---

[1]- صلاح الدين عبد التواب : الصورة الأدبية في القرآن الكريم ، دار بونار ، القاهرة ، ط1 ، 1995 ، ص44.

[2]- عبد العزيز بن صالح العمَّار : التصوير البياني في حديث القرآن عن القرآن ، الإمارات ، دبي ، طبعة 2007 ص66.

[3]- عبد الفتاح لاشين : البيان في ضوء أساليب القرآن ، ص191.

[4]- عبد القادر حسين : القرآن والصورة البلاغية ، عالم الكتب ، بيروت ، ط2 ، 1985 ، ص171.

[5]- صلاح الدين عبد التواب : الصورة الأدبية في القرآن الكريم ، ص58.

وإذا كان التشبيه أكثر ما يستعمَل يكون لبيان المعنى وإيضاح الفكرة ، فإنَّ الاستعارة أكثرها ما تكون تستعمَل في القوة وشدة التأثير في السامعين[1].

إذا أنت مضيت إلى الألفاظ المستعارة رأيتَها من هذا النوع الموحى ؛ لأنَّها أصدق أداة تجعل القاريء يُحس بالمعنى أكمل إحساس وأوفاه ، وتصور المنظر للعين وتنقل الصوت للأذن[2] ، فالاستعارة قد تُجسم الأشياء المعنوية ، وتعرضها في صورة مرئية ملموسة فتكون لها الأثر البليغ والوقف اللطيف[3].

ومن الاستعارات الموجودة في قصة سليمان عليه السلام مع الهدهد وملكة سبإ ما يلي :

1- قال : ﴿**وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ**﴾[النمل : 24] .

(وزين لهم الشيطان أَعمالهم) : استعارة مكنية حيث شبَّه الأعمال بشيء يُزيَّن كالثوب أو نحوه مما نستطيع أن نزيِّنه فنجعله جميلا زاهيا ، وترك لازمة من لوازمه (زيَّن) لكن المراد من ذلك أنَّ الشيطان قد حسَّن لهم أعمالهم فصدهم عن عبادة الله الواحد.

فإنَّ "الاستعارة المكنية تتمثل في حذف المشبه به ، وذكر شيء من لوازمه مع ذكر المشبه فالاستعارة في لفظ المشبه به المحذوف ، يُستعار أولا ثم يُحذف ويُرمز إليه بشيء من لوازمه"[4].

(فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون) : وهنا استعارة حيث شبه الشيطان بالجدار الذي يصد الريح فحذف المشبه به هو الريح وترك لازمة من لوازمه وهي (الصد) على سبيل الاستعارة المكنية ، "حيث جاءت تلك الصورة القرآنية في تعبير موح مشع صوَّر ذلك

---

[1]- عبد الفتاح لاشين : البيان في ضوء أساليب القرآن ، ص193.

[2]- أحمد بدوي : من بلاغة القرآن ، ص167.

[3]- عبد الفتاح لاشين : المرجع السابق ، ص993.

[4]- عبد القادر حسين : القرآن والصورة البلاغية ، ص203.

المعنى المجرد حتى صار مجسما محسوسا فيه حركة وفيه حياة ، وفيه إيحاء"[1].

2- قالت : ﴿**يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ**﴾ [النمل : 32] .

(ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون) : استعارة مكنية حيث شبه الأمر بشيء محسوس يُقطَع وترك لازمة من لوازمه وهي قاطعة والغرض منه هو الخلوص إلى أمر واضح وبين ، والرجوع إلى قرار واحد بعد المشورة.

والمراد بقطع الأمر الرجوع بعد إحالة الآراء ومحض الأقوال إلى رأي واحد والعمل عليه دون غيره فكأنَّما أحالت الأمر إليهم فحسن أن يعبر عنه بقطع الأمر وعلى هذا قول الرجل لصاحبه لا أقطع أمرا دونك أي لا أقرر العزم على شيء حتى أفاوضك[2].

3- قال الذي عنده علم من الكتاب : ﴿**أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ**﴾[النمل : 40] .

(قبل أن يرتد إليك طرفك) : وهذه "استعارة بديعة حيث شبه سرعة مجيئه بالعرش برجوع الطرف للإنسان وارتداد الطرف معناه التقاء الجفنين ، وهو أبلغ ما يمكن أن يوصف به في السرعة ومثله ، وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب فاستعار للسرعة الفائقة ارتداد الطرف"[3].

---

[1]- صلاح الدين عبد التواب : الصورة الأدبية في القرآن الكريم ، ص61.

[2]- ينظر : الشريف الرضي ، تلخيص البيان في مجازات القرآن ، تحقيق : علي محمود مقلــد ، دار مكتبة الحياة بيروت ، لبنان ، دط ، ص 218 و219.

[3]- محمد حسين سلامة : الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم ، دار الآفاق العربية ، القاهرة ، ط1 ، 2002 ، ص218

لأنَّ المراد بارتداد الطرف هنا التقاء الجفنين بعد افتراقهما وذلك أبلغ ما يُوصف به في السرعة وليس هناك على الحقيقة شيء ذهب عنه ثم رجع ولكن جفن العين لما كان ينفتح وينطبق أقام الانفتاح مقام الخروج والانطباق مقام الرجوع[1].

ج- الكناية

تقوم الكناية القرآنية بنصيبها كاملا في أداء المعاني وتصويرها خير أداء وتصوير وهي حينا راسمة مصورة موحية ، وحينا مؤدبة مهذبة ، تتجنب ما ينبو على الأذن سماعه[2]. فإنَّ "الكناية أساسها : لفظ أُطلق وأُريد به لازم معناه"[3].

والكناية عند أهل البيان "أن يُريد المتكلم إثبات معنى من المعاني ، فلا يذكُره باللفظ الموضوع له من اللغة ، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه ورديفه في الوجود"[4] ، وبلاغة الكناية "تتمثل في أنَّها تعرض المعنى مصحوبا بالدليل ، ومقرونا بالبرهان فبذلك تكون أبلغ من التصريح"[5].

يقول الزركشي : «اعلم أنَّ العرب تعُد الكناية من البراعة والبلاغة وهي عندهم أبلغ من التصريح»[6] ، والكناية عن الشيء دلالة عليه لكن من غير تصريح باسمه ، ومن أهم الكنايات الموجودة في قصة سليمان عليه السلام مع الهدهد وملكة سبإ ما يلي :

1- قال : ﴿**أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ**﴾[النمل : 22] .

---

[1]- ينظر : الشريف الرضي ، المرجع السابق ، ص299.

[2]- أحمد بدوي : من بلاغة القرآن ، ص173.

[3]- عبد الفتاح لاشين : البيان في ضوء أساليب القرآن ، ص285.

[4]- الزركشي : البرهان في علوم القرآن ، ص500.

[5]- عبد الفتاح لاشين : البيان في ضوء أساليب القرآن ، ص279.

[6]- الزركشي : المصدر السابق ، ص500.

(أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ) : كناية عن المعرفة الدقيقة بالشيء من جميع الجوانب دون أن يُترك منه شيء دون علم به.

2- قال : ﴿**إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ**﴾[النمل : 23]

(وأوتيت من كل شيء) : "وهي كناية عن عظمة ملكها وثرائها وتوافر أسباب الحضارة والقوة والمتاع"[1] ، وقوة السلطان والنفوذ والمال.

3- قال : ﴿**أَلاَّ يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**﴾[النمل : 25]

(يُخرج الخبء في السماوات والأرض) : "وهي كناية عن كل مخبوء وراء ستار الغيب في الكون العريض"[2].

4- قال عفريت من الجن : ﴿**أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ**﴾[النمل : 39] .

(قبل أن تقوم من مقامك) : وهذه كناية عن شدة السرعة.

إذن فقصة سليمان **عليه السلام** مع الهدهد وملكة سبإ قد وُفقت في عرض الصورة فجاءت بشكل فني جميل ، وصورت المعنى في أحسن حلة وزادته قوة ودلالة ، وأحسنت في تجسيده وفي بث الحركة والحيوية ، وهذا ما يثير في المتلقي شعورا جميلا وإحساسا بجمال القَصَص القرآني.

فالقرآن قد بلغ حد الإعجاز في التصوير البياني من خلال التعبير بالصورة الموحية سواء من حيث التشبيه أو الاستعارة أو الكناية ، مع الدقة التامة في انتقاء الألفاظ ، وكل ذلك في لفظ موجز موح وراق.

---

[1]- سيد قطب : في ظلال القرآن ، ص2638.

[2]- سيد قطب : المرجع نفسه ، ص2638.

وما يمكن أن نستخلصه ككل هو أن لغة القصة القرآنية قد جاءت قوية ومشحونة بالدلالات لا تبلُغها أي لغة أخرى ، وألفاظُها موجزة ومعجزة تُعبِّر عن المعنى المراد دون أي خلل أو اضطراب مع حُسن في النظم والترتيب ، أمَّا الصورة فجاءت مشعة موحية ومليئة بالمعاني والدلالات السامية ، وجسدت المعنى في أحسن صورة ، فاللفظة تُعبر والصورة تصور وهذا هو النظم المعجز ، الذي خرق المألوف من كلام العرب وأعجزَهم عن الإتيان بمثله.

المطلب الثاني : فنيَّة الأسلوب في قصة سليمان عليه السلام

أولا : الجملة ودلالتها الأسلوبية

ينفَرد القرآن الكريم بأسلوبه المعجَز في عرض قصص الأنبياء ، والأمم السالفة ويتميز هذا الأسلوب بخصائص جلية تُعطي للنسق القصصي روعة ووضوحا وتكون لها آثارها العميقة في النفس[1].

[1] - محمود السيد حسن مصطفى : الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية ، ص67.

فالقرآن الكريم "إنَّما ينفرد بأسلوبه ؛ لأنَّه ليس وضعا إنسانيا البتة ، ولو كان من وضع إنسان لجاء على طريقة تشبه أسلوبا من أساليب العرب أو من جاء بعدهم إلى هذا العهد ولا من الاختلاف فيه عند ذلك بد في طريقته ونسقه ومعانيه"[1].

أول ما يتسم به أسلوب القرآن هو الفخامة والقوة والجلال ، يكتسبُها من انتقاء ألفاظ لا امتهان فيها وابتذال ومن استخدام ألوان التوكيد والتكرير نشعر بهذه الفخامة في كل ما نتناوله من الأغراض[2].

فالجملة في القرآن تجدها دائما مؤلفة من كلمات وحروف ، وأصوات يستريح لتآلفها السمع والصوت والنطق ، ويتكون من تضامها نسق جميل ينطوي على إيقاع رائع ما كان ليتم لو نقصت من الجملة كلمة أو حرف أو اختلف ترتيب ما بينها بشكل من الأشكال[3].

والجملة القرآنية تتبع المعنى النفسي ، فتُصوره بألفاظها لتلقيه في النفس ، حتى إذا استكملت الجملة أركانها برز المعنى ظاهرا فيه المهم والأهم[4] ، و"تمضي الجملة القرآنية وقد كُونت من كلمات قد اختيرت ، ثم نُسقت في سلك من النظام ، فلا ضُعف في تأليف ولا تعقيد في نظم ، ولكن حُسن تنسيق ودقة وترتيب"[5].

1- الجملة الخبرية :

[1]- مصطفى صادق الرافعي : إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، ص203.

[2]- أحمد بدوي : من بلاغة القرآن ، ص186.

[3]- الزركشي : البرهان في علوم القرآن ، ص86.

[4]- أحمد بدوي : من بلاغة القرآن ، ص85.

[5]- أحمد بدوي : المرجع نفسه ، ص86.

الكلام إن احتمل الصدق والكذب لذاته بحيث يصح أن يقال لقائله أنَّه صادق أو كاذب سُمي كلاما خبريا ، والمراد بالصادق ما طابقت نسبة الكلام فيه الواقع ، وبالكاذب ما لم تطابق نسبة الكلام فيه الواقع[1] ، و"من المعلوم لكل عاقل أن قصَد المخبر بخبره إفادة المخاطب"[2].

وصور الخبر تختلف في أساليب اللغة باختلاف أحوال المخاطب ، فنراه حينا مجردا من أدوات التوكيد ، ونجده حينا مؤكدا واحدا ، وحينا مؤكدا بأكثر من مؤكد[3] "وقد تحتاج الجملة إلى مؤكد واحد أو أكثر ، حسب المقام الموضوع ، فيُؤتى بالمؤكدات المطلوبة"[4].

لتوكيد الخبر أدوات كثيرة منها : إنَّ ، وأنَّ ، والقسم ، ولام الابتداء ، ونونا التوكيد وأحرف التنبيه ، والحروف الزائدة ، وقد ، وأمَّا الشرطية[5].

وقد "استخدم القرآن التوكيد وسيلة لتثبيت المعنى في نفوس قارئيه ، وإقراره في أفئدتهم حتى يُصبح عقيدة من عقائدهم"[6] ، والخبر عادة ما يُقسم إلى أضرب ونحن سنحدده كالآتي :

سنحدده

الجـــــملة	المؤكدات	الضرب

[1] - عبد السلام محمد هارون : الأساليب الإنشائية في النحو العربي ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط5 ، 2001 ص 102.

[2] - جلال الدين السيوطي : الإتقان في علوم القرآن ، ص571.

[3] - محمود السيد حسن مصطفى : الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية ، ص161.

[4] - صلاح عبد الفتاح الخالدي : إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني ، ص271.

[5] - علي الجارم : البلاغة الواضحة ، دار المعارف ، دط ، ص156.

[6] - أحمد بدوي : من بلاغة القرآن ، ص112.

1- لأعذبنَّــه عذابا شديدا أو لأذبحنــَّه أو ليــأتينِّي بسلطان مبين.	اللام {3} – النون {3}	إنكاري لزيادة المؤكدات على واحد.
2- إنِّي وجدت امرأة تملِكهم وأوتيت من كل شيء.	إنَّ	طلبــي لأنَّ كل مؤكد في جملة وحده.
3- ألاَّ يسجــدوا لله الــذي يُخرج الخَبء في السماوات و الأرض.	ألاَّ	طلــبي
4- اذهب بكتابي هذا فألقــه إليهم ثم تول عنهم.	الهــاء	طلــبي
5- قالت يا أيهــا الملأ إنِّي ألقي إلي كتاب كريم.	الهاء- إنَّ	إنكــاري
6- إنَّه من سليمان وإنَّه بسم الله الرحمن الرحيم ألاَّ تعلو علي واتوني مسلمين.	إنَّ {2} – ألاَّ	إنكــاري
7- قالت يا أيها الملأ أفتوني في أمري.	الهــاء	طلبــي
8- قالت إنَّ الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها .	إنَّ	طلبــي
9- وانِّي مرسلة إليهم بهدية فناظرة بــم يرجع المرسلون.	إنَّ	طلبــي
10- ارجع إليهم فلنأتينَّهم	اللام {2} – النون {2}	إنكــاري

بجنود لا قبل لهــم بها ولنُخرجنَّهم منها أذلـــة.		
11- وإنِّي عليه لقوي أمين.	إنَّ – اللام	إنكـــاري
12- ليبلوني أأشكر أم أكفر ومن شكر فإنَّما يشكر لنفسه ومن كفر فإنّ ربي غني كريم	اللام – إن{2}	إنكـــاري
13- قالت كأنَّه هو وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين.	أنَّ – الهاء {2}	إنكـــاري
14- إنَّها كانت من قوم كافرين.	إنَّ – الهاء	إنكـــاري

فهو يؤكد في موطن بإنَّ المشددة ، ونونا التوكيد الثقيلة ، وفي موطن آخر باللام أو بحروف التنبيه وأنَّ وغيرها ، و"قد يكرر القرآن الجملة المؤكدة عدة مرات بألفاظها نفسها علما منه بما لذلك من أثر في النفس"[1] ، والقصد من الخبر إفادة المخاطب.

2- **الجملة الانشائية** :

إذا كان الكلام "لا يحتمل الصدق والكذب لذاته ، ولا يصح أن يُقال لقائله أنَّه صادق أو كاذب لعدم تحقيق مدلوله في الخارج وتوقفه على النطق به سُمي كلاما إنشائيا"[2] ومن الأساليب الإنشائية في قصة سليمان **عليه السلام** مع الهدهد وملكة سبإ ما يلي :

[1] - أحمد بدوي : من بلاغة القرآن ، ص112.

[2] - عبد السلام محمد هارون : الأساليب الإنشائية في النحو العربي ، ص13.

1- **الاستفهام** :

وهو طلب الفهم ، أي طلب العلم بشيء لم يكن معلوما بواسطة أداة من أدواته وهي الهمزة ، وهل ، ومن ، وما ، ومتى ، وأين ، وأيَّان ، وأنى ، وكيف ، وكم ، وآي[1] إلا أن الاستفهام قد يخرج عن غرضه الأصلي إلى أغراض أخرى تُعرف من السياق.

ورد الاستفهام في القرآن الكريم على أصل معناه وهو طلب الفهم ومعرفة المجهول وأكثر منه أن يخرج الاستفهام عن أصل وضعه لمعان أخرى تُفهم من سياق الكلام[2]. وفي قصة سليمان عليه السلام مع الهدهد وملكة سبإ نجد الاستفهام بكثرة ونستطيع أن نحدده كالتالي:

1- قال تعالى : ﴿**وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لاَ أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ**﴾[النمل : 20] (مالي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين ؟) : أسلوب استفهام يفيد التعجب.

2- قال : ﴿**أَلاَّ يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**﴾[النمل : 25] (ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السماوات والأرض ؟) : استفهام إنكاري الغرض منه الاستنكار على القوم الذين يعبدون الشمس من دون الله ، وهذا من الأغراض التي يخرج عنها الاستفهام من وضعه الحقيقي "فأنت لا تقرر المخاطب في شيء وإنَّما تنكر عليه وتستهجن ما حدث"[3].

3- قال : ﴿**سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ**﴾[النمل : 27] .

---

[1]- عبد السلام محمد هارون : المرجع نفسه ، ص18.

[2]- أحمد بدوي : من بلاغة القرآن ، ص126.

[3]- فهد خليل زايد : الإعجاز العلمي والبلاغي في القرآن الكريم ، دار النفائس ، الأردن ، ط1 ، 2008 ، ص280.

(أصدقت أم كنت من الكاذبين ؟) : استفهام إنكاري ، والهمزة هنا "للاستفهام لإبراز الشك في الفعل"[1] ، فسليمان عليه السلام أراد أن يتأكد من صدق الخبر وقطع الشك باليقين.

4- قال : ﴿**اذْهَب بِّكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ**﴾[النمل : 28]

(فانظر ماذا يرجعون ؟) : استفهام الغرض منه اختبار الملكة وقومها.

5- قالت : ﴿**وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ**﴾[النمل : 35] .

(فناظرة بم يرجع المرسلون ؟) : استفهام الغرض منه اختبار سليمان عليه السلام.

6- قال : ﴿**أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم**﴾[النمل : 36] .

(قال : أتمدونن بمال ؟) ، استفهام إنكاري و"الهمزة للاستفهام الإنكاري التوبيخي"[2] فقد أنكر عليهم إمداده بالمال مع ما يملك من سلطة ونفوذ.

7- قال : ﴿**يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ**﴾[النمل : 38] .

(أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين ؟) : استفهام الغرض منه هو اختبار الملكة.

8- قال : ﴿**هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ**﴾[النمل : 40] .

(أأشكر أم اكفر) : استفهام الغرض منه اختبار سليمان عليه السلام.

9- قال : ﴿**نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لاَ يَهْتَدُونَ**﴾[النمل : 41]

(أتهتدي أم تكون من الذين لا يهتدون ؟) ، استفهام الغرض منه اختبار ذكاء الملكة.

10- ﴿**فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ**﴾[النمل : 42] .

---

[1]- عبد الكريم محمد يوسف : أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم ، مكتبة الغزالي ، دمشق ، طبعة 2000 ، ص101.

[2]- عبد الكريم محمد يوسف : المرجع نفسه ، ص101.

(أهكذا عرشك ؟)، استفهام بالهمزة ، وهي "همزة الاستفهام لطلب التصديق والسؤال عن نسبة تردد الأمر في نفسها"[1]. "لأن التصديق إنَّما هو إدراك النسبة بين شيئين ، إثبات الحكم أو نفيه"[2].

3- **أسلوب الأمر** :

هو ما يُطلب به حصول شيء لم يكن حاصلا عند النطق به مع الاستعلاء والإلزام وإذا نظرنا إلى طالب الشيء والمطلوب منه ، وجدنا أنَّ الطالب أعلى من المطلوب منه منزلة وأرفع رتبة وإنَّه يُحتم على من طلب منه القيام بما يطلبه[3] ، و"الأصل في الأمر أن يكون لطلب الفعل على سبيل الإيجاب"[4].

وفي قصة سليمان **عليه السلام** مع الهدهد وملكة سبإ نجد أسلوب الأمر قد ورد بكثرة وهذا دليل على أنَّ القصة يطغى عليها الأسلوب الخطابي ، والهدف منه توصيل المعنى للقاريء بأسلوب مباشر ، ومن بين أساليب الأمر في قصة سليمان **عليه السلام** مع الهدهد وملكة سبإ نجد :

1- قال : ﴿**اذْهَب بِّكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ**﴾[النمل : 28] .

(اذهب ، ألق ، تول ، انظر) ، والغرض من هذا الأمر هو الطلب على جهة الاستعلاء.

2- قالت : ﴿**يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ**﴾ [النمل : 32] .

[1] - عبد الكريم محمد يوسف : أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم ، ص102.

[2] - فهد خليل زايد : الإعجاز العلمي والبلاغي في القرآن الكريم ، ص273.

[3] - محمود السيد حسن مصطفى : الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية ، ص212.

[4] - عبد الكريم محمد يوسف : أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم ، ص102.

(أفتوني) : الغرض من الأمر طلب المشورة .

3- قالوا :﴿**نَحْنُ أُولُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ**﴾ [النمل : 33] .

(انظري) : الغرض منه هو طلب الرأي والمشورة .

4- قال : ﴿**ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لاَ قِبَلَ لَهُم بِهَا**﴾[النمل : 37] .

(ارجع) : الغرض من الأمر التهديد والوعيد.

5- قال : ﴿**أَلاَّ تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ**﴾[النمل : 31] .

(وأتوني) : الغرض منه التهديد.

6- قال : ﴿**نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لاَ يَهْتَدُونَ**﴾[النمل : 41] .

(نَكِّرُوا) : أمر الغرض منه الطلب على جهة الاستعلاء.

7- قيل : ﴿**ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً**﴾[النمل : 44] .

(ادخلي) : وهو أمر حقيقي .

4- النـــــــداء :

النداء في العادة "دعوة موجهة من المنادي إلى المنادى وتتضمن هذه الدعوة وجوها واضحة صريحة يقصد المتكلم إيضاحها وإبلاغها كما تتضمن معاني خفية إن جاز التعبير

ترتبط بالجوانب النفسية لكل من المنادي والمنادى ولا تخفى أبعادها في الكلام ، كما يشتمل على قرائن تشير إلى الغرض المقصود ويستوحيها مقتضى الحال"[1].

فيه حث على الاهتمام بموضوع الكلام والدعوة للتبصر به مما يُعطي المضمون قيما دعا إليها المنادي ، وتوجيه الأنظار إلى المنادى وتركيز الاهتمام حوله ، إمَّا للحوار أو لأغراض أخرى تُفهم من السياق ، كما أنَّ فيه ضربا من الإيجاز واختصارا للكلام[2]. وهو "يصحب في الأكثر الأمر والنهي"[3] ، وقد تخرُج ألفاظ النداء عن معناها الأصلي إلى معان أخرى تفهم من السياق.

فالنداء في القرآن الكريم يُراد به معنى يدعم الطلب المشتمل عليه بسياق الخطاب[4] "وبهذه الطريقة التي تُعتَبر فنا قائما وحده وإزاء المعاني والأغراض كان القرآن في المنزلة الرفيعة من البلاغة وصلت إلى درجة الإعجاز التي يقصُر عنها أساطين البلاغة والبيان"[5] ، وفي قصة سليمان عليه السلام مع الهدهد وملكة سبإ نجد أسلوب النداء ظاهرا من خلال الخطاب المباشر ويمكن أن نحدده كالآتي :

1- قالت : ﴿**يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ**﴾[النمل : 29] .

(يا أيها الملأ) : نداء بالأداة ، والغرض منه التعجب ، والأصل في (يا) أن تكون لمناداة البعيد و"تختص دون سواها بأنَّها وحدها التي يجوز حذفها مع المنادى عندما لا يكون

---

[1]- أحمد محمد فارس : النداء في اللغة والقرآن ، دار الفكر اللبناني ، بيروت ، ط1 ، 1989 ، ص160.

[2]- ينظر : أحمد محمد فارس ، المرجع نفسه ، ص160.

[3]- جلال الدين السيوطي : الإتقان في علوم القرآن ، ص583.

[4]- ظافر بن غرمان العمري : مجازات النداء وحقيقته وأغراضهما في الخطاب القرآني ، مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية ، العدد6 ، ص163.

[5]- أحمد محمد فارس : النداء في اللغة والقرآن ، ص164.

هناك مانع من الحذف"[1].

2- قالت : ﴿**يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي**﴾[النمل : 32] .

(يا أيها الملأ) نداء بالأداة و الغرض منه طلب المشورة.

3- قال : ﴿**يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ**﴾[النمل : 38] .

(يا أيها الملأ) نداء الغرض منه الطلب ، فقد التصقت الأداة بالمنادى مما أثار انتباه المتلقي ، وعادة ما يكون الصوت عاليا في النداء وممتدا فيحدث بذلك إيقاعا عاليا يحدث التنبيه المطلوب.

4- قالت : ﴿**رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾[النمل : 44] .

(رب إني ظلمت نفسي) نداء بأداة محذوفة ، الغرض منه التحسر والندم ، فحذف الأداة فيه تقريب للمنادى وتلطيف لمحله عنده ، "ولعل في ذلك تعبيرا عن شعور الداعي بقربه من ربه"[2].

والنداء جزء من الخطاب المباشر وفائدته تقريب الحدث ولا سيما أحداثا ماضية وهو من الأساليب الطلبية التي تبث الحركة والحيوية داخل النص ، ويثير الانتباه لدى المتلقي وله وقُعه الخاص في النفس.

فالأساليب في القصة قد تعددت أغراضها ، وتنوعت مدلولاتها ، ويبقى الغرض من الأسلوب "نقل المعاني أو الحقائق إلى ذهن السامع أو القاريء وللأسلوب أهمية كبيرة في ذلك إذا كانت المعاني جيدة زادها الأسلوب الجيد جودة وقوة"[3].

---

[1] - أحمد محمد فارس : النداء في اللغة والقرآن ، ص80.

[2] - أحمد بدوي : من بلاغة القرآن ، ص130.

[3] - محمود السيد حسن مصطفى : الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية ، ص157.

ثانيا : الإيقاع وجمالياته

الإيقاع من أسباب الانسجام فهو صفة صوتية تُحدث على التركيب توازنا وانسجاما وعلى جمله تعادلا وتوازيا ويمكن تنويعه[1] ، وإنَّ "الإيقاع القرآني الظاهري الجميل يقوم على عنصرين هما : الجمال التوقيعي المبني على إيقاع الحروف وصوتها في الأذن والجمال التنسيقي المبني على تناسق الحروف وتلائمها ، واجتماعها على أداء إيقاع قرآني جذاب جميل"[2].

والإيقاع الموسيقي ينتشر في كثير من سور القرآن الكريم ، وحيثما تلا الإنسان القرآن أحس بذلك الإيقاع الداخلي في سياقه ، ويبرُز بروزا واضحا في كثير من السور القصار ، والفواصل السريعة ، ومواضع التصوير والتشخيص بصفة عامة وهو ملحوظ دائما في بناء النظم القرآني[3].

عادة ما يكون الباعث على الإيقاع خاصا بنوعية المقاطع وكيفية توزيعها فيكون عندها الإيقاع إما بطيئا أو سريعا حسب التجربة والمعنى والحال النفسية[4].

1- إيقاع اللفظة :

القرآن الكريم يتَخيَّر حروف الكلمة ، وينتقي أصواتها صافية الذوق في مخارجها لذيذة السماع ، طيبة المجرى على اللسان ، مُعتدلة في تأليفها ، خفيفة في الفم ، نازلة

---

[1]- محمد إبراهيم شادي : البلاغة الصوتية في القرآن الكريم ، مؤسسة الرسالة ، ط1 ، 1988 ، ص55.

[2]- صلاح عبد الفتاح الخالدي : إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني ، ص120.

[3]- محمود السيد حسن مصطفى : الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية ، ص76.

[4]- ينظر : محمد إبراهيم شادي ، البلاغة الصوتية في القرآن الكريم ، ص55.

على أحسن هيئة في الإيقاع قوية الإيحاء شديدة البعث لما تتضمَّنُه من المعاني المرادة والأهداف المقصودة من الآية الكريمة[1].

عندما تكون صيغ المفردات في العبارة متخيرة دقيقة فإنَّها تُحدِث قوة في السبك وجمالا في التناسق ، فضلا عما تُحدِثه من إيقاع خاص ينسجم مع دلالة الجملة والعبارة ولا شك أنَّ تناغم دلالة المفردات يؤدي تلقائيا إلى تناغم صيغ تلك المفردات[2].

ومن التناغم وتناسق الكلمات ما ورد في قصة سليمان **عليه السلام** مع الهدهد وملكة سبإ ، حين توعَّد سليمان **عليه السلام** الهدهد بالعقاب وهذا في ثلاث كلمات ، نجد كلمة (لَأُعَذِّبَنَّهُ ، لَأَذْبَحَنَّهُ ، لَيَأْتِيَنِّي) وهي مؤكدة باللام والنون الثقيلة "تُحدث جرسا وضغطا عند النطق بها بما يصور الغضب والتهديد اللذين يسودان في هذا الموقف وفضلا عن هذا يحدث من توالي التوكيد باللام والنون خاصة إيقاعا خاصا يتناسب مع قوة المعنى"[3].

فاللفظة المنتقاة تأتي لتؤدي معنى في السياق وتؤدي تناسبا في الإيقاع ، دون أن يطغى هذا على ذاك[4] ، والكلمة القرآنية خفيفة على السمع ، سهلة في النطق عذبة وسلسة تدل على المعنى المراد.

لذلك نرى في تراكيب حروف القرآن تناسقا عجيبا بين الرخو منها والشديد والمجهور والمهموس ، والممدود والمقطوع ، ونجد أنَّ اجتماعها مع بعضها يؤلف نغما مطربا يظهَر أثرُه في صوت القاريء[5].

---

[1]- عبد الفتاح لاشين : ابن القيم وحسه البلاغي في تفسير القرآن ، ص38.

[2]- محمد إبراهيم شادي : البلاغة الصوتية في القرآن الكريم ، ص59.

[3]- محمد إبراهيم شادي : المرجع نفسه ، ص59.

[4]- محمود السيد حسن مصطفى : الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية ، ص76.

[5]- عبد الفتاح لاشين : ابن القيم وحسه البلاغي في تفسير القرآن ، ص38.

وقد أضحى العرب "يحرصون على تخير (اللفظ) البليغ الفصيح المناسب لمعناه وللسياق الذي ورد فيه ، وقد استفادوا هذا من البيان القرآني المعجز في تخيره للفظ المناسب"[1].

وانظر إلى قول سليمان **عليه السلام** وهو يتوعَّد ويهدد الخصم بعد أن أرسلت الملكة إليه بهدية فكانت ردة فعله عنيفة ، يقول مخاطبا الهدهد : ﴿**ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لاَ قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ**﴾[النمل : 37] .

فنجد صيغة (لَنَأْتِيَنَّهُم ، لَنُخْرِجَنَّهُم) تحدث وقعا في النفس وهي نبرة التهديد والوعيد وقد زادها التوكيد طربا ووقعا على الأذن ، وهذا الإيقاع يتناسب والمعنى المراد فالكلمات مشددة وصوتها عال يهز النفس ويثير فينا الخوف والرهبة .

وليس يخفى أنَّ مادة الصوت هي مظهر الانفعال النفسي ، وأنَّ هذا الانفعال بطبيعته إنَّما هو سبب في تنويع الصوت بما يُخرجه فيه مدا أو غنة أو لينا أو شدة ، وبما يُهيئ له من الحركات المختلفة في اضطرابه وتتابعه على مقادير تناسب ما في النفس من أصولها[2] والعبارة الموسيقية في القرآن تمتاز بحسن جرسها ، وسلامة نظمها ، وحسن مطابقتها للمعنى.

2- التكـــــرار :

أ- تكرار الألفاظ :

[1]- صلاح عبد الفتاح الخالدي : إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني ، ص138.

[2]- مصطفى صادق الرافعي : إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، ص215.

التكرار ظاهرة بارزة في البيان القرآني المعجز ، ومظهر من مظاهر إعجاز القرآن وهو إعادة عرض لبعض الألفاظ أو الجمل أو الآيات أو المعاني أو الموضوعات ، ولكن هذا التكرار حكيم ومقصود ومضيف ، فعندما يكرر القرآن ذلك يكرر لحكمة ، يريد منها تحقيق هدف بلاغي أو ديني كما أنَّه مضيف يُضيف القرآن في كل مرة لفظا أو معنى أو معلومة أو فكرة[1].

وهو "ذلك الانسجام الموسيقي الذي فيه تؤلف العبارة من كلمات منسقة ذات حركات وسكنات ، يشعُر المرء عند تلاوتها بما يكمُن وراء هذا النظام من موسيقى واتساق ، وإنَّ هذه الموسيقى التي تكمن وراء هذا النظم هي التي مكَّنت المرتلين من تلاوته بهذه الأنغام الموسيقية"[2].

إنَّ التكرار في القرآن هو إعجاز من إعجازه ووجه جديد من وجوه البلاغة لم ينطق به قبل القرآن على لسان ، ذلك أنَّ الكلام الذي يتكرر يثقُل ويسقط أمَّا التكرار الذي وقع في القرآن فإنَّه كان في المواضع التي جاء فيها نغما جديدا من أنغام الحُسن الرائع أُضيف إلى تلك الأنغام السارية في القرآن كله[3] ، وهذا التكرار "لا يجيء متكلِفا ، ولا يصدر عن عجز عن تناول اللفظ الذي يصلُح لمعنى عليه ، وإنَّما يجيء حين يجيء المعنى ولا يخل بتساوق النظم بل يمد النغم الموسيقي بلون جديد يزداد به النغم روعة وقوة"[4].

وفي القرآن الكريم صور من التكرار اللفظي من الكلمات والجمل ، والمراد من "هذا التكرار تقرير حقيقة في النفوس تتبَع ما أُجمل قبلها من حديث ، فالأسلوب في هذه

---

[1] - صلاح عبد الفتاح الخالدي : إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني ، ص311.

[2] - أحمد بدوي : من بلاغة القرآن ، ص187.

[3] - محمود السيد حسن مصطفى : الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية ، ص118.

[4] - عبد الكريم الخطيب : الإعجاز في دراسات السابقين ، ص410.

الحالة يكون موجزا ويؤدي دورَه المطلوب في تقرير الحقائق وغرض التكرار من ورائه تقرير المعاني كما ذُكرت"[1] .

وفي قصة سليمان عليه السلام مع الهدهد وملكة سبإ نجد تكرارا لبعض الألفاظ ولكن معناها مختلف حسب سياق النص الذي وُظفت فيه ومنها تكرار النظر ، قال : (**سننظر** أصدقت أم كنت من الكاذبين) والمعنى هنا نتبين ، وقوله : (ثم تول **فانظر** ماذا يرجعون) ، والمعنى هنا فكر وتأمل وقولها : (وإنِّي مرسلة إليهم بهدية **فناظرة** بم يرجع المرسلون) ، يعني منتظرة ومترقبة ، وكذلك تكرر الفعل رأى (فلما **رأته** حسبته لجة) والمعنى هنا أبصرته.

وتكرر لفظ الرجوع في القصة : (ثم تول عنهم فانظر ماذا **يرجعون**) ، (فناظرة بم **يرجع** المرسلون) ، وهذا "فمن الرجوع ، أو من رجع الجواب"[2] لا غير ، وقوله : (**ارجع** إليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم) ، والمعنى هنا العودة ، فإنَّ هذا التكرار جاء في الموضع الذي يناسبُه فكان نغما من أنغام الحُسن .

كذلك تكرر لفظ الإتيان عدة مرات واختلفت مدلولاته : من ذلك قوله : (أو **ليأتيني** بسلطان مبين) ، (ألا تعلو علي **واتوني** مسلمين) ، (أيكم **يأتيي** بعرشها) ، (**فلنأتينهم** بجنود لا قبل لهم بها) ، (قال الذي عنه علم من الكتاب أنا **آتيك** به) ، والمعنى هنا المجيء "والإتيان يقال للمجيء بالذات وبالأمر والتدبير"[3].

والإيتاء بمعنى الإعطاء وذلك نحو قوله (**وأوتيت** من كل شيء) ، وقوله (فما **آتاني** الله خير مما آتاكم) ، وقوله : (**وأوتينا** العلم من قبلها) ، أليس هذا من عجيب النظم

---

[1] - محمود السيد حسن مصطفى : الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية ، ص115.

[2] - الراغب الأصفهاني : مفردات ألفاظ القرآن الكريم ، ص343.

[3] - الراغب الأصفهاني : المرجع نفسه ، ص61.

وروعة التأليف ودقة التعبير ، كيف للفظ الواحد أن يُعبَّر عنه بعدة مدلولات وكل لفظة وُضعت في مكانها الذي يليق بحالها دون أي خلل ولا تنافر مع المعنى المراد تبليغه.

ب- تكرار الحروف والروابط :

من التكرارات الموجودة في قصة سليمان عليه السلام مع الهدهد وملكة سبإ تكرار الحروف والروابط ومنها : (حروف الجر ، وحروف العطف) ، فقد وردت بكثرة وساهمت في بناء المعنى وأحدثت ارتباطا وانسجاما وتناسقا ، وتكرارها خلق إيقاعا موسيقيا معينا .

ومن حروف الجر : (ب ، من ، إلى ، في ، مع ، ل ، عن) وهي تعمل على ربط الألفاظ وجر الأسماء التي تدخل عليها ، فهذه الحروف قد التصقت بالأسماء والتصقت بها المعاني التي لا تفارقها ، ومنها حرف الباء الذي تكرر أكثر من عشر مرات وهي باء "الإلصاق وهو معنى لا يفارقها"[1] ، فكان إيقاع هذه الحروف داخليا صاحب الكلمات مع التصاق المعنى بها.

ومن التكرارات الأخرى حروف العطف وأغلبها دل على الترتيب والتعقيب ومنها : (الواو ، الفاء ، أو) فتكرارها جاء ربطا وتسلسلا وتعاقبا للأحداث فجاءت الأفكار والأحداث متسلسلة ومتتابعة في أروع صورة ، فالواو عادة ما تعني "مطلق الجمع فتعطف الشيء على مصاحبه"[2].

وقد تكررت الواو في القصة أكثر من عشرين مرة وهذا يدل على أنَّ أحداث القصة جاءت متسلسلة مترابطة ومرتبة فقد عملت على ربطها فقال النحاة بإفادتها الترتيب

[1]- محمد سليمان عبد الله الأشقر : معجم علوم اللغة العربية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط1 ، 1995 ، ص97.

[2]- محمد سليمان عبد الله الأشقر : المرجع نفسه ، ص441.

أما الفاء دلت على الترتيب والتعقيب ، فالتصقت بالكلمات وتعاقبت من خلالها الأحداث وعملت على خلق نغمة تماشت مع العواطف فجاءت الأفكار عميقة ومعبرة.

3- المحسنات البديعية :

ويمكن تقسيمها إلى لفظية ومعنوية "وهذا التقسيم لتلك الألوان البديعية من لفظية يرجِع إلى اللفظ والصورة والشكل ومعنوية يردون حُسنها إلى المضمون والمعنى ، تقسيم لم يحالفه التوفيق لأنَّ ذلك فصل للجسم عن الروح ، والروح عن الجسم ، وذلك لأنَّ جمال الألفاظ في تَعلُّقها بالمعاني وحُسن المعاني في وجودِها في تركيب"[1].

1- المعنوية :

وهي التي يكون التحسين فيها راجعًا إلى المعنى أولا وبالذات ، ويتبعُه تحسين اللفظ ثانيا وبالعرض[2] ، ومن المحسنات البديعية المعنوية الموجودة في قصة سليمان عليه السلام مع الهدهد وملكة سبإ ، الطبـــاق والمقابلـــة.

أ- الطبـــــاق :

اجتماع الضدين من الحلي البديعة التي سماها البلاغيون (الطباق) لأنَّ المتكلم طابق بين الضدين[3] ، ويسمى بالمطابقة والتضاد ، وبالتطابق.

والطباق ضربان : طباق الإيجاب "وهو ما لم يختلف فيه الضدان ايجابيا وسلبا"[1] أمَّا طباق السلب "وهو ما اختلف فيه الضدان ايجابيا وسلبا"[2].

---

[1] - عبد الفتاح لاشين : البديع في ضوء أساليب القرآن ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، طبعة 1999 ، ص23.

[2] - عبد الفتاح لاشين : المرجع نفسه ، ص23.

[3] - عبد الفتاح لاشين : المرجع نفسه ، ص25.

ومن المطابقات الموجود في قصة سليمان عليه السلام مع الهدهد وملكة سبإ نجد طباق الإيجاب : (تخفون ، تعلنون) ، (أشكر ، أكفر) وطباق السلب : (أحطت ، لم تحط) (مهتد ، لا يهتدون) ، يقول عبد القاهر الجرجاني : «وأما (التطبيق) فأمره أبين وكونه معنويا أجلى وأظهر فهو مطابقة الشيء بضده»[3] .

ب- المقـــــابلة :

ومما يرتبط بالطباق المقابلة بأن يُؤتى بمعنيين أو أكثر ثم يقابل ذلك على الترتيب[4]
ومن المقابلات الموجودة في قصة سليمان عليه السلام مع الهدهد وملكة سبإ ما يلي :

(ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السماوات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون).
"وهي مقابلة للخَبء في السماوات والأرض بالخَبء في أطوار النفس وما ظهر منها وما بطن"[5] .

وهذه المقابلة بين المعاني تزيدها في الفكر ووضوحا وفي النفس رسوخا "ومن ذلك ترى أنَّ ما ورد في القرآن من طباق ومقابلة لم يجيء اعتسافا ، وإنمَّا جاء المعنى مصورا في هذه الألفاظ التي أدت المعنى خير أداء وأوفاه"[6].

2- اللفظية :

---

[1]- السيد أحمد الهاشمي : جواهر البلاغة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط6 ، ص303.

[2]- السيد أحمد الهاشمي : المرجع نفسه ، ص303.

[3]- عبد القاهر بن عبد الرحمن محمد الجرجاني : أسرار البلاغة ، تعليق : محمود أحمد شاكر ، مكتبة الخانجي ، ط1 1991 ، ص20.

[4]- أحمد بدوي : من بلاغة القرآن ، ص143.

[5]- سيد قطب : في ظلال القرآن ، ص2638.

[6]- أحمد بدوي : المرجع السابق ، ص144.

وهي التي يكون التحسين فيها راجعًا إلى اللفظ أولا بالذات ويتبَعه تحسين المعنى ثانيا وبالعرض[1] ، ومن المحسنات اللفظية الموجودة في قصة سليمان عليه السلام مع الهدهد وملكة سبإ : الجناس ، والفاصلة القرآنية .

أ- الجنـــــاس :

الجناس من الحلي اللفظية والألوان البديعية التي لها تأثير بليغ تجدب السامع وتُحدِث في نفسه ميلا إلى الإصغاء والتلذذ بالنغمة العذبة ، وتجعل العبارة على الأذن سهلة ومستساغة ، فتجد من النفس القبول ، وتتأثر به أي تأثير ، وتقع من القلب أحسن موقع[2] وهو "أن يتفق اللفظان في النطق ويختلفان في المعنى وهو نوعين ، لفظي ومعنوي"[3].

ويُقال له التجنيس ، والتجانس ، والمجانسة ؛ ولا يُستَحسن إلا إذا ساعد اللفظ المعنى ووازى مصنوعه مطبوعه مع مراعاة النظير ، وتمكُّن القرائن فينبغي أن تُرسَل المعاني على سجيَّتها لتكتسي من الألفاظ ما يُزينُها حتى لا يكون التكلف في الجناس[4] ، والجناس نوعان : "تام : وهو ما اتفق فيه اللفظان المتجانسان في أربعة أمور : نوع الحروف وعددها وهيئتها ، وترتيبها ، وغير تام : وهو ما اختلف فيه اللفظان في واحد أو أكثر من الأمور الأربعة السابقة"[5] ، ومن الجناسات الموجودة في قصة سليمان عليه السلام مع الهدهد وملكة سبإ نجد : جناس غير تام في كلمتي (سبـــإ ، نبـــإ) والجناس من محاسن الكلام لأنَّه يحدث نغمة جميلة تثير وقعًا في النفس وميلا إلى الإصغاء والتلذذ.

---

[1] - عبد الفتاح لاشين : البديع في ضوء أساليب القرآن ، ص23.

[2] - عبد الفتاح لاشين : المرجع نفسه ، ص158.

[3] - السيد أحمد الهاشمي : جواهر البلاغة ، ص325.

[4] - السيد أحمد الهاشمي : المرجع نفسه ، ص325.

[5] - عبد الفتاح لاشين : البديع في ضوء أساليب القرآن ، ص163.

2- ومن الجناسات الأخرى ما يسمى بالاشتقاق : (تقوم ، مقامك) ، (أسلمت ، سليمان) فكل كلمة تجانس أخرى ، و"يشترط أن يجتمعا في أصل الاشتقاق"[1] ، "أما ما ورد في القرآن مما نَعُده محسنات بديعية فقد وردت الألفاظ التي كان بها هذا المحسن البديعي في مكانها ، يتطلَّبُها المعنى ولا يُغني غيرها غناءها"[2].

ب- الفاصلة القرآنية :

نعني بها تلك الكلمة التي تُختَم بها الآية من القرآن ، ولعلَّها مأخوذة من قوله سبحانه : ﴿**كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**﴾[فصلت : 3] ، (فُصِّلَتْ) وربما سُميت بذلك لأنَّ بها يتم بيان المعنى ، ويزداد وضوحه جلاء وقوة ، وهذا لأنَّ التفصيل فيه توضيح وجلاء وبيان ، قال تعالى : ﴿**وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلاَ فُصِّلَتْ آيَاتُه**﴾ [فصلت : 44] ، فمكانة الفاصلة من الآية مكانة القافية من البيت[3]، وهي كلمة "آخر الآية كقافية الشعر وقرينة السجع"[4].

إنَّ الفاصلة في القرآن الكريم لا تخرج عن كونها كلمات أواخر الآيات ينفَصل عندها الكلام بعضه عن بعض لتحسينه ، إذ إنَّ آخر الآية فصل بينها وبين ما بعدها[5] ، "فليست الفاصلة في القرآن كقافية الشعر تُقاس بالتفعيلات والأوزان وتُضبَط بالحركات والسكنات ولا النظم فيه يعتمد على الحشو والتطويل ، أو الزيادة والتكرار ، أو الحذف والنقصان ولا الألفاظ تُحشَد حشدا وتُلصق التصاقا ، ولا المعنى يلتمس فيه الإيهام والإغراب"[6].

---

[1]- جلال الدين السيوطي : الإتقان في علوم القرآن ، ص599.

[2]- أحمد بدوي : من بلاغة القرآن ، ص140.

[3]- ينظر : أحمد بدوي ، المرجع نفسه ، ص64.

[4]- جلال الدين السيوطي : الإتقان في علوم القرآن ، ص609.

[5]- أنسام خضير خليل : الجرس والإيقاع في الفواصل القرآنية ، مجلة كلية الآداب ، العدد 98 ، ص223.

[6]- ينظر : محمود السيد شيخون ، الإعجاز في نظم القرآن ، ص116.

وإنَّ الفواصل "لا يجوز تسميتُها قوافي إجماعا ؛ لأن الله تعالى لما سلب عنه اسم الشعر وقد سلب القافية عنه أيضا ؛ لأنَّها منه وخاصة به في الاصطلاح ، وكما يمتنع استعمال القافية فيه يمتنع استعمال الفاصلة في الشعر ؛ لأنَّها صفة لكتاب الله تعالى فلا تتعداه"[1].

تُعد الفاصلة القرآنية وجها من وجوه الإعجاز القرآني ، ذلك الإعجاز الذي أعجز العرب عن الإتيان بمثله ، فوقفوا أمامه متحيرين كل التحير لما فيه من بلاغة وفصاحة وهم أصحاب الفصاحة والبلاغة[2].

وتنزل الفاصلة من آياتها تكمل من معناها ويتم بها النغم الموسيقي للآية ، فنراها أكثر ما تنتهي بالنون والميم وحروف المد ، وتلك هي الحروف الطبيعية في الموسيقى نفسها قال سيبويه : إن العرب إذا ترنموا يلحقون الألف والياء والنون لأنَّهم أرادوا مد الصوت ويتركون ذلك إذا لم يترنموا[3].

وتقع الفاصلة عند الاستراحة في الخطاب ؛ لتحسين الكلام بها وهي الطريقة التي يتباين القرآن فيها مع سائر الكلام وتُسمى فواصل لأنَّه ينفصل عندها الكلامان ، وذلك أنَّ آخر الآية فصل بينها وبين ما بعدها ، ولم يسموها أسجاعا[4].

وُجد في العصر الجاهلي سجع كان يقوله الكهان ، وقد اختلط الأمر على بعض قريش في أول نزول الذكر الحكيم ، فقرنوه بسجع كهنتهم ورد عليهم القرآن الكريم بمثل قوله جل وعز : ﴿**فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ**﴾[الطور : 29] ، وقال : ﴿**إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ**

[1] - جلال الدين السيوطي : الإتقان في علوم القرآن ، ص610.

[2] - أنسام خضير خليل : الجرس والإيقاع في الفواصل القرآنية ، ص221.

[3] - أحمد بدوي : من بلاغة القرآن ، ص65.

[4] - الزركشي : البرهان في علوم القرآن ، ص50.

كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلاَ بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾﴾[الحاقة : 40- 42][1].

وهناك من العلماء من وصف الفواصل بالأسجاع ولكن أبو بكر الباقلاني في كتابه إعجاز القرآن نفى ذلك بقوله : «لو كان القرآن سجعا لكان غير خارج عن أساليب كلام العرب ولو كان داخلا فيها لم يقع بذلك إعجاز ، ولو جاز أن يقولوا هو سجع معجز لجاز لهم أن يقولوا شعر معجز وكيف والسجع مما كان يألفه الكهان من العرب ونفيه من القرآن أجدر بأن يكون حجة من نفي الشعر لأنَّ الكهانة تنافي النبوات وليس كذلك الشعر»[2].

السجع نمط من أنماط النثر الفني عرفَه العرب قبل الإسلام ، وفي حاضر الإسلام وبعد الإسلام حتى عصرنا ، ومن يقرأ آداب العرب قبل الإسلام سيجد أنَّ ما كان من كلامهم نثرا تتخلله الأسجاع بالفطرة والسليقة وقد يجد فيه تكلفا في بعض الأحيان وهو مما يُستكرَه لأنَّه يُقصد لذاته ، أمَّا ما سلِم من التكلف فهو سجع مقبول محمود تُطرَب له آذان السامعين وتسمو به المعاني لديهم[3].

وما هذه الفواصل التي تنتهي بها آيات القرآن إلاَّ صور تامة للأبعاد التي تنتهي بها جمل الموسيقى ، وهي متفقة مع آياتها في قرار الصوت اتفاقا عجيبا يلائم الصوت والوجه الذي يُساق عليه بما ليس وراءه في العجب مذهب أو تراها أكثر ما تنتهي بالنون والميم ، وهما الحرفان الطبيعيان في الموسيقى نفسها ، أو بالمد وهو كذلك طبيعي في القرآن[4].

---

[1]- كمال الدين عبد الغني المرسي : فواصل الآيات القرآنية ، ط1 ، 1999 ، ص15.

[2] - ينظر : أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني ، إعجاز القرآن ، ص57 و58.

[3] - ينظر : كمال الدين عبد الغني المرسي ، المرجع السابق ، ص19.

[4]- مصطفى صادق الرافعي : إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، ص 216 و217.

وتعْتَبر هذه الموسيقى إشعاعا للنظم الخاص في كل موضع من كتاب الله ، وتابعة لقصر الفواصل وطولها ، كما أنَّها تابعة لانسجام الحروف في الكلمة المفردة لانسجام الألفاظ في الفاصلة الواحدة[1].

وفي قصة سليمان عليه السلام مع الهدهد وملكة سبإ نلاحظ تنوعا للفواصل فقد تنوعت بتنوع الحالة أو الموضوع ، "ويسمي العلماء الفواصل المتفقة في الحرف الأخير متماثلة ، وما عداها متقاربة ولا تخرج الفواصل عن هذين النوعين أبدا"[2].

وقد برز حرفا النون والميم ، وإن كان حرف النون هو الغالب على النص ، فكان هناك تعاقب للياء والنون ، وتعاقب الواو والنون ، والياء والميم ، وهذا التنوع هو الذي سبب تنوعا في الإيقاع وصنع نغمات صوتية مؤثرة تماشت والمعنى في القصة وجعل إيقاعها قويا مؤثرا يطول فيه الصوت.

فمن تعاقب الياء والنون قوله تعالى : ﴿**وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لاَ أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ**﴾[النمل : 20] ، فالفاصلة (الغائبين) ، قد تماشت مع جو التساؤل والتعجب من غياب الهدهد مما رسم انفعالا عملت الفاصلة على تبيينه وتقويته.

وقوله أيضا : ﴿**لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ**﴾[النمل : 21] فالفاصلة (مبين) قد تماشت مع انفعال الغضب المؤكد بالنون الثقيلة وكأنَّ نبرة التأكيد قد صاحبت الفاصلة عند النطق بها .

[1]- محمود السيد حسن مصطفى : الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية ، ص75.

[2] - أحمد بدوي : من بلاغة القرآن ، ص74.

وقوله أيضا : ﴿**سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ**﴾[النمل : 27] ، فالفاصلة (الكاذبين) تماشت مع نبرة التحقق والتأكد من كلام الهدهد وصوتها عال وكأنَّ من ورائِها مصيرًا محددا سيلاقي الهدهد.

وتأتي الفاصلة في القرآن مستقرة في قرارها ، مطمئنة في موضعها ، غير نافرة ولا قلقة ، يتعلق معناها بمعنى الآية كلها تعلقا تاما بحيث لو طُرحت لاختل المعنى واضطرب الفهم فهي تؤدي في مكانها جزءا من معنى الآية ينقص ويختل بنقصانها[1].

وقد وردت الواو مقترنة بالنون في أجزاء عديدة من القصة من ذلك قول الهدهد : ﴿**وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لاَ يَهْتَدُونَ**﴾[النمل : 24] .

وفي قوله تعالى : ﴿**فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ**﴾[النمل : 36] ، والفاصلة (تفرحون) تناسبت وجو الغضب والتهديد عند سليمان **عليه السلام** ، فإنَّ من ورائِها نبرة التهديد والوعيد للعدو.

فليست فواصل القرآن مجرد توافق ألفاظ وأوزان ، بل لها علاقة وثيقة بما قبلها ولهذا نجدها تأتي مستقرة في أماكنها مطمئنة في مواضعها غير قلقة ولا نافرة[2]. و"هذه الفواصل لها قيمتها في إتمام المعنى وهي مرتبطة –كما رأينا- بآياتها تمام الارتباط ولها أثرها الموسيقي في نظم الكلام ولهذه الموسيقى أثرها في النفس"[3].

---

[1] - أحمد بدوي : من بلاغة القرآن ، ص65.

[2] - أنسام خضير خليل : الجرس والإيقاع في الفواصل القرآنية ، ص221.

[3] - أحمد بدوي : المرجع السابق ، ص72.

فإنَّ حروف المد واللين وإلحاقها بالنون تخلُق جوا من الموسيقى والمتعة بفضل ما تُحدثُه من نغم جميل تستشعره النفوس وتُطرَب له الآذان ، ويتم "التحام الفاصلة بالآية تلاحما تاما يستقر في النفس وتَتَقبلُه أعظم قبول وحينما يظن أنَّ الآية تهيئ لفاصلة بعينها ولكن القرآن يأتي بغيرها إيثارا لما هو ألصق بالمعنى وأشد وفاء بالمراد"[1].

ونلاحظ في بعض الآيات انتقالا للفاصلة من النون إلى الميم لتخلق لنا نوعا من الإثارة والتشويق والدهشة ، قال تعالى : ﴿**فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ**﴾[النمل : 23] ، فالفاصلة (عظيم) تناسبت مع موقف الهدهد ودهشتة أمام ما رآه وإنك لتلمس فيها نغمة العظمة والعجب من ذلك العرش العظيم ، وأنَّ ما رآه صدق وحق يقين.

والفاصلة القرآنية "لها ميزة مهمة ، فهي فضلا عن إيقاعها الموسيقي المؤثر في النفس نجدها ترتبط بما قبلها من الكلام بحيث تنحدر على الأسماع انحدارا ، وكأنَّ ما سبقها لم يكن إلاَّ تمهيدا لها ، بحيث لو طُرحت لاختل المعنى في الآية"[2].

فنظرة إلى تلك الحروف تُبرز تناسبها لبعضها تناسبا طبيعيا في الهمس والجهر والشدة والرخاوة واللين والتفخيم والترقيق مما يشكل أنغاما متناسقة متناسبة ، وهذه الخاصية تعود بلا شك إلى طريقة اختيارها وسبكها وتناسب مخارجها كما أنَّ وضع الكلمة في الآية واختيار موقعها والتآمها مع جاراتها له الأثر الكبير في إعطاء هذا الجرس الخاص والإيقاع المؤثر في نفس السامع[3].

---

[1] - أحمد بدوي : من بلاغة القرآن ، ص72.

[2] - أنسام خضير خليل : الجرس والإيقاع في الفواصل القرآنية ، ص221.

[3] - مصطف ديب البغا : الواضح في علوم القرآن ، دار الكلم الطيب ، دمشق ، ط2 ، 1998 ، ص145.

فالجمال الموسيقي يكمن في نظم الحروف ورصفها "وترتيب أوضاعها ، هذا ينقر وداك يصفر ، وثالث يهمس ، ورابع يجهر وآخر حرف استعلاء وغيره حرف شدة أو رخاوة ، وهكذا ترى الجمال اللغوي ماثلا أمامك في هذا التناغم الموسيقي المعجز الذي جعل منه القرآن قالبا لما حمله من معاني الرسالة وحِكَمها وأحكامها ، وعقائدها وقواعدها ومواعظها وزواجرها وما امتاز به أسلوبُها في عرض هذه المعاني من سائر الخصائص المعجزة[1].

نرى أنَّ القرآن الكريم كان أسلوبه ممتعا رائعا بلغ الغاية في التصوير والروعة البلاغية التي لا يقدِر عليها بشر ، فعرضه الشيق وبلاغتُه المتناهية وما بدا على صفحة أسلوبه من طباق وجناس وما إلى ذلك من ألوان البديع ، فهو بعيد كل البعد عن الصنعة المتكلفة خارج عن الغريب يبادر معناه لفظه إلى القلب لحتى عسُر تناوله لا يحاكيه أحد ولا يقدر عليه بشر ، فهو بديع التأليف والرصف[2] ، فالقرآن يجري على نسق بديع خارج عن المألوف من نظام كلام العرب فهو لا تنطبق عليه قوافي الشعر ولا أسجاع النثر وأسلوبه روعة وجودة وحسن نظم وتأليف وترتيب.

إذن فأسلوب القصة جاء راقيا وقد كُون من جمل وتراكيب ، وإيقاعات متنوعة اختيرت ثم نسقت ونُظِمت في سلك منتظم نجد داخلها معاني رفيعة فلا ضعف في تأليف ولا عجز في تركيب ، ولكن حُسن تنسيق وترتيب ، والجمل القرآنية أدت معناها في دقة تامة وتنوعت دلالاتها فكانت روعة في التنظيم والسبك ، أما الإيقاع فجاء رناناً مصحوبا بموسيقى رائعة تُطرب لها الآذان وتستحسنها النفوس وإنَّ هذا الأسلوب لينقل المعاني والحقائق إلى ذهن السامع أو القاريء في دقة تامة وجودة عالية.

---

[1]- نور الدين عتر : علوم القرآن ، ص210.

[2]- ينظر : عمر محمد عمر باحاذق ، الجانب الفني في قصص القرآن الكريم ، ص188.

وفي ختام هذا الفصل نجد أنَّ القصة القرآنية ككل بلُغتها الفريدة المعجزَة والموحية قد نَقلت الأحداث والحقائق من الماضي البعيد وبعثتها من مرقدها لتنقلها لنا في أبهى لفظ وأحسن صورة ، وقد وُفقت في التعبير عن المعنى المراد فهي لغة حية وصادقة ومشحونة بالدلالات القوية ، أما الصورة فجاءت مشعة وقوية في الدلالة فصورت المعنى ببراعة وأخرجته لنا في طابع جديد ذو سمة خاصة وبثت فيه الحركة والحيوية ، وهذا هو الإعجاز البياني يختص به القرآن وحده.

أمَّا الأسلوب فقد جاء معجَزا وفي أحسن صورة ، وأسمى تعبير من خلال نقل المعاني وتميز بخصائص جلية من خلال عرضه للقصة فزادها وضوحا وعمقا وقد صاحبته موسيقى جميلة لها وقعها الخاص وأثرُها العميق في النفس فكان بحق أسلوبا قصصيا راقيا فإذا كانت المعاني جليلة فقد زادها جلالا وروعة ، فهو لا يشبه أساليب العرب في شيء فهو يختلف في طريقته ونسقه ومعانيه ، فهو أسلوب معجز لا يبلُغه أسلوب شاعر أو ناثر فهو ينفرد به وحده ، فهو من صنع الخالق القادر.

خَاتِمَة

خاتمـــة

بعد هذه الرحلة المضنية ضمن معاني قصة سليمان عليه السلام مع الهدهد وملكة سبإ والتنعُّم في ظلالها ، تمكنت من إحصاء النتائج التالية :

- جاءت عناصر القصة القرآنية متكاملة فيما بينها ، فأحداثها حقيقية وشخوصها واقعية لها دورها البارز ، ومفاجآتها عجيبة وشيقة بالإضافة إلى معجزاتها الخارقة التي أحدثت زلزلة عاتية وأثارت دويا هائلا ، وإن خرقت المألوف لكن العقل قد تقبَّلها.

- كان الحوار تقنية سردية بارزة في القصة أدى وظيفة جمالية من خلال التعبير عن الخلجات وبعث الحركة والحيوية ، فهو كالروح التي تسري في الجسد ، وذو سمة خاصة لم نلحظها في القص الأدبي.

- أمَّا زمان القصة فقد أكسبها طابع الواقعية فهي تطلُع من آفاق القرون الماضية ، مما يثير في المتلقي إحساسًا بالزمن البعيد ، وكان المكان الشاهد على الأحداث وبمثابة الوعاء الذي يحتويها.

- هذه العناصر الفنية جاءت كالبنيان المرصوص لا يمكن أن نفصل فيها عنصرا عن آخر فهي مترابطة فيما بينها بُني عليها هيكل القصة ؛ لتفرز لنا قطعة فنية جميلة جاءت في سلك منتظَم ذو طابع فريد.

- أما الجانب الجمالي الآخر في القصة فتمثل في خصيصة التصوير ، فهي الأداة المفضلة في أسلوب القرآن والقاعدة الأولى للبيان فيه ، وقد وُفقت القصة في رسم الشخصيات ، والتعبير عن العواطف والانفعالات ، وتصوير المشاهد ، فالقرآن قد تحرى الدقة التامة في ذلك.

- أما لغة القصة فجاءت واقعية وذات مدلولات صادقة ، مشحونة بالدلالات العميقة وبطابع معجز لا يبلغه أحد من أهل الفصاحة والبيان ، وأدت وظيفتها الفنية ببراعة وقد أصابت وأحسنت في توصيل المعنى المراد إلى ذهن المتلقي ، وألفاظها قد نُظمت في أحسن صورة ، وهذا هو النظم المعجز قد اختص به القرآن وحده ، فرافقتها الصورة لتصور لنا المعنى في أحسن حلة ، ولتعكس إحساسنا بالجمال .

- أما الأسلوب فقد زاد القصة روعة ووضوحا وجمالا من خلال التعبير الفني الجميل فكشف لنا عن أعماقها ومكنوناتها ، مع موسيقى جميلة صاحبته استحسنتها الأسماع وهذا هو القص القرآني بطابعه الخاص المعجز المستقل ببنيته وحده.

- إنَّ قصة سليمان **عليه السلام** مع الهدهد وملكة سبإ تمثل وجهًا من وجوه الإعجاز اللغوي والبياني ، فقد سَحرت العقول بجمالها وشرف معناها ، فكانت بحق مثالا للقص الراقي والبديع الذي لا نجد مثله في القص الأدبي على الإطلاق.

والحمد لله في البدء والختام

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه الكرام

الملخص

ملخص

تمثل القصة القرآنية وجهًا من وجوه الإعجاز اللغوي والبياني ؛ لما تحمله من قيم فنية رفيعة ، بالإضافة إلى بنائها الفني المحكم ، لذلك اخترت أن تكون دراستي بعنوان "قصة سليمان عليه السلام مع الهدهد وملكة سبإ" – دراسة فنية - لأنَّ مضمونها احتوى على تلك القيم الجليلة والتي أعطت لمتذوقها إحساسا بجمال القص القرآني ، من عناصر فنية متماسكة فيما بينها أدت وظيفتها ببراعة ، وكذا خصيصة التصوير فيها ، أما لغتها فامتازت بالصدق والواقعية ، وأسلوبها جاء فخما ومعبرًا ، فجاءت خطتي بمقدمة وثلاثة فصول وخاتمة المقدمة : كانت تمهيدا للموضوع وأهميته ودوافع اختياره ، والأهداف المرجوة منه الفصل التمهيدي : وكان عرضا لبعض مفاهيم القصة ، والقصة القرآنية بخصائصها وأنواعها وأغراضها ، أما الفصل الأول : فتناولت فيه القصة القرآنية عناصرها وفنياتها والفصل الثاني : تناولت فيه القصة القرآنية وأبعادها الجمالية وأنهيت بحثي بخاتمة تُبرز قيمة الموضوع ككل.

وهكذا تنتهي رحلة بحثي في رحاب القصة القرآنية ، وأسأل الله

أن يتقبَّل مني هذا العمل ، وأن يجعله خالصا لوجهه

Summary

Coranic stories can be estimated as the most advanced language style. Inspite of its high level words and expressions , and its artistic syntax and prestigeous syntax as well. Therefor , I've tried to choose my following study about one of the most famous stories in the wholly coran which is "the story of Suleiman peace be upon him and the Hudhud (the speaker bird which appeared in the story) and the queen of Saba" because its content contained these values and which gave to the reader such feeling of coranic text beauty. These texts contained such language arts among its words and played its role successfully. The words represented the story and described the scene as it really happened. My planning is to give an introduction , three chapters and the conclusion.

Intoduction : was a preparation for the topic and its importance and the causes of choosing it the goals expected from it.

Chapter one : was a description for some story assumptions , the Coranic story and its characteristcs.

Chapter two : I studied the coranic story and its artistic goals.

Chapter three : I studied the coranic story and its artistic dimensions.

Conclusion : I ended my study by clarifying the subject values in general.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع :

***القرآن الكريم**

أ- المصادر :

1- أبو الفداء إسماعيل بن كثير : تفسير القرآن العظيم ، تحقيق : سامي بن محمد السلامة ، دار طيبة ، ط1 ، 1997 ، ج6.

2- أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني : إعجاز القرآن ، تحقيق : السيد أحمد صقر دار المعارف ، مصر ، القاهرة ، د ط .

3- أبو جعفر محمد بن جرير الطبري : جامع البيان عن تأويل القرآن ، تحقيق : عبد الله بن عبد المحسن التركي ، دار هجر ، القاهرة ، ط1 ، 2001 ، ج 18 .

4- أبو زكريا يحي بن زياد الفراء : معاني القرآن ، عالم الكتب ، بيروت ، ط3 1983 ، ج2 .

5- الزركشي : البرهان في علوم القرآن ، تحقيق : أبو الفضل الديمياطي ، دار الحديث طبعة 2006 .

6- القِنوجي : فتح البيان في مقاصد القرآن ، راجعه : عبد الله بن إبراهيم الأنصاري المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، 1992 ، ج1 .

7- جلال الدين السيوطي : الإتقان في علوم القرآن ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، دمشق ، سوريا ، ط1 ، 2008 .

8- شهاب الدين السيد محمود الألوسي : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، ضبط : علي عبد الباري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1994 مج 10 .

9- عبد الرحمن ناصر السعدي : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان ، تحقيق عبد الرحمن مُعَلاَّ اللُويحقي ، دار السلام ، المملكة العربية السعودية ، ط2 ، 2002.

10- عبد القاهر بن عبد الرحمن محمد الجرجاني : أسرار البلاغة ، تعليق : محمود أحمد شاكر ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط1 ، 1991.

11- عبد القاهر بن عبد الرحمن محمد الجرجاني : دلائل الإعجاز ، تعليق : محمود محمد شاكر ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط5 ، 2004 .

12- محمد بن أبي الحسن النيسابوري : إيجاز البيان عن معاني القرآن ، تحقيق : حنيف بن حسن القاسمي ، دار الغرب الإسلامي ، ط1 ، 1995 ، مج1.

ب- المراجع :

1- ابن أبي الإصبع : بديع القرآن ، مطبعة الرسالة ، القاهرة ، دط .

2- أبو الفداء إسماعيل بن كثير : قصص الأنبياء ، تحقيق : عبد الحي الفرماوي دار الطباعة والنشر الإسلامية ، ط5 ، 1997 .

3- أحمد الشرباصي : من أدب القرآن ، دار المعارف ، مصر ، دط .

4- أحمد بدوي : من بلاغة القرآن ، إشراف : داليا محمد إبراهيم ، نهضة مصر طبعة 2005.

5- أحمد محمد فارس : النداء في اللغة والقرآن ، دار الفكر اللبناني ، بيروت ، ط1 1989.

6- أسامة عبد العظيم حمزة : القصَص القرآني وأثره في استنباط الأحكام ، ط1 1997.

7- السيد أحمد الهـــاشمي : جواهر البلاغـــة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ط6.

8- الشريف الرضي : تلخيص البيان في مجازات القرآن ، تحقيق : علي محمود مقلد دار مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان ، دط .

9- تمَّام حسّان : البيان في روائع القرآن ، عالم الكتب ، ط1 ، 1993 .

10- جاسم محمد حسين نطّاح : النقد الأدبي في الدراسات القرآنية ، دار الحامد ، الأردن عمّان ، ط1 ، 2013.

11- ركان الصفدي : الفن القصصي في النثر العربي ، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب ، دمشق ، طبعة 2011.

12- سعيد عطية علي مطاوع : الإعجاز القصصي في القرآن ، دار الآفاق العربية القاهرة ، ط1 ، 2006 .

13- سيد قطب : التصوير الفني في القرآن ، دار الشروق ، القاهرة ، ط11 ، 1989.

14- سيد قطب : في ظلال القرآن ، دار الشروق ، القاهرة ، ط1 ، 1972 ، مج1.

15- صلاح الدين عبد التواب : الصورة الأدبية في القرآن الكريم ، دار بونار ، القاهرة ط1 ، 1995.

16- صلاح عبد الفتاح الخالدي : إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره الرباني ، دار عمار ، عمان ، ط1 ، 2000 .

17- صلاح عبد الفتّاح الخالدي : مع قصص السابقين في القرآن ، دار القلم ، دمشق ط1 ، 1988.

18- طبارة عفيف عبد الفتاح : مع الأنبياء في القرآن الكريم ، دار الملايين ، بيروت ط22 ، 2003 .

19- عبد الحميد محمود طهماز : المعجزة والإعجاز في سورة النمل ، دار القلم دمشق ، ط1 ، 1987 .

20- عبد السلام محمد هارون : الأساليب الإنشائية في النحو العربي ، مكتبة الخانجي القاهرة ، ط5 ، 2001 .

21- عبد العزيز بن صالح العمَّار ، التصوير البياني في حديث القرآن عن القرآن الإمارات ، دبي ، طبعة 2007 .

22- عبد العظيم بن إبراهيم المطعني : خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط1 ، 1992 ، ج1 .

23- عبد الفتاح لاشين : ابن القيم وحِسه البلاغي في تفسير القرآن ، دار الرائد العربي بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1986 .

24- عبد الفتاح لاشين : البديع في ضوء أساليب القرآن ، دار الفكر العربي ، القاهرة طبعة 1999 .

25- عبد الفتاح لاشين : البيان في ضوء أساليب القرآن ، دار الفكر العربي ، القاهرة طبعة 1998.

26- عبد القادر حسين : القرآن والصورة البلاغية ، عالم الكتب ، بيروت ، ط2 1985.

27- عبد الكريم الخطيب : الإعجاز في دراسات السابقين ، دار الفكر العربي ، ط1 1974.

28- عبد الكريم الخطيب : القصَص القرآني في مفهومه ومنطوقه ، دار المعرفة بيروت ، لبنان ، ط2 ، 1975.

29- عبد الكريم محمد يوسف : أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم ، مكتبة الغزالي دمشق ، طبعة 2000.

30- علي الجارم : البلاغة الواضحة ، دار المعارف ، دط .

31- عمر محمد عمر باحاذق : الجانب الفني في قصص القرآن الكريم ، دار المأمون للتراث ، بيروت ، ط1.

32- فهد خليل زايد : الإعجاز العلمي والبلاغي في القرآن الكريم ، دار النفائس الأردن ، ط1 ، 2008 .

33- كمال الدين عبد الغني المرسي : فواصل الآيات القرآنية ، ط1 ، 1999.

34- محمد إبراهيم شادي : البلاغة الصوتية في القرآن الكريم ، مؤسسة الرسالة ، ط1 1988.

35- محمد أحمد خلف الله : الفن القصصي في القرآن الكريم ، سينا للنشر ، القاهرة ط4 ، 1999 .

36- محمد السيد شيخون : الإعجاز في نظم القرآن ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة ط1 ، 1978 .

37- محمد حسين سلامة : الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم ، دار الآفاق العربية القاهرة ، ط1 ، 2002 .

38- محمد سعد الدبل : النظم القرآني في سورة الرعد ، عالم الكتب ، دط .

39- محمد سيد طنطاوي : القصة في القرآن الكريم ، دار نهضة مصر ، ط1 ، 1996 ج1 .

40- محمد عثمان نجاتي : القرآن وعلم النفس ، دار الشروق ، القاهرة ، ط7 ، 2001.

41- محمد قطب : دراسات قرآنية ، دار الشروق ، القاهرة ، د ط.

42- محمد قطب : منهج الفن الإسلامي ، دار الشروق ، القاهرة ، ط4 ، 1980 .

43- محمود السيد حسن مصطفى : الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية ، تقديم : حسن عون ، مؤسسة شباب الجامعة ، ط1 ، 1981.

44- مصطفى الدباغ : وجوه من الإعجاز القرآني ، مكتبة المنار ، الأردن ، ط1 1982.

45- مصطفى ديب البغا : الواضح في علوم القرآن ، دار الكلم الطيب ، دمشق ، ط2 1998 .

46- مصطفى صادق الرافعي : إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، دار الكتاب العربي بيروت ، لبنان ، ط9 ، 1973 .

47- مصطفى مسلم : مباحث في إعجاز القرآن ، دار المسلم ، الرياض ، ط2 ، 1996.

48- منير كرجي : الرؤية القرآنية لدور المرأة في عهد الأنبياء ، ترجمة : عبد الغني البستاني ، ط1 ، 1429 هـ .

49- ناصر مكارم الشيرازي : قصص القرآن ، إعداد وتنظيم : السيد حسن الحسيني دط.

50- نور الدين عتر : علوم القرآن الكريم ، ط1 ، 1993 .

51- يوسف الشاروني : القصة تطورا وتمردا ، مركز الحضارة العربية ، القاهرة ط2 ، 2001 .

ج- القواميس والمعاجم :

1- إبراهيم فتحي : معجم المصطلحات الأدبية ، المؤسسة العربية ، د ط.

2- ابن منظور : لسان العرب ، دار النوادر ، الكويت ، طبعة 2010 ، ج8 .

3- أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا : معجم مقاييس اللغة ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2001.

4- التونجي : المعجم المفصل في الأدب ، دار العلمية ، ط2 ، 1999 ، ج1.

5- الراغب الأصفهاني : مفردات ألفاظ القرآن الكريم ، تحقيق : صفوان عدنان داودي دار القلم ، دمشق ، ط4 ، 2009.

6- الطاهر أحمد الزاوي : مختار القاموس ، دار العربية للكتّاب ، د ط .

7- الفيروزبادي : القاموس المحيط ، إشراف : محمد نعيم العرقسوسي ، مؤسسة الرسالة ط 8 ، 2005 .

8- حيدر عبد النور : المعجم الأدبي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط1 ، 1979.

9- سعيد علوش : معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة ، دار الكتِاب اللبناني ، بيروت لبنان ، ط1 ، 1985.

10- مجدي وهبة : معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ، مكتبة لبنان ، بيروت ط2 ، 1984 .

11- مجمع اللغة العربية : معجم ألفاظ القرآن الكريم ، طبعة 1988 ، ج1 .

12- محمد بن علي المُقري الفيومي : المصباح المنير ، تحقيق : عبد العظيم الشناوي دار المعارف ، القاهرة ، ط2.

13- محمد سليمان عبد الله الأشقر : معجم علوم اللغة العربية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ط1 ، 1995.

د - المجـــــلات :

1- أنسام خضير خليل : الجرس والإيقاع في الفواصل القرآنية ، مجلة كلية الآداب ع 98.

2- حبيب مونسي : المشهد السردي في القرآن الكريم الرؤيا ، وبؤرة التشكيل السردي مجلة قراءات ، 2010.

3- ظافر بن غرمان العمري : مجازات النداء وحقيقته وأغراضهما في الخطاب القرآني مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية ، ع6.

4- فايز وضاح الخطيب : الإعجاز القرآني البياني في آيات قصة سليمان عليه السلام مع ملكة سبإ ، مجلة جامعة دمشق ، المجلد 17 ، ع2 ، 2001 .

5- نبهان حسون السعدون : الزمن في القصة القرآنية قصة موسى أنموذجا ، مجلة كلية العلوم الإسلامية ، ع 15 ، 2014 .

هـــ- الرسائل الجامعية :

1- محمد مشرف خضر : بلاغة السرد القصصي في القرآن الكريم ، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في الآداب ، جامعة طنطا ، الإسكندرية .

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة
المقدمة	أ - و
الفصل التمهيدي : المفهوم ، الخصائص ، الأنواع و الأغراض	
المبحث الأول : مفهوم القصة لغة واصطلاحا	8 - 12
المبحث الثاني : مفهوم القصة القرآنية	12 - 16
المبحث الثالث : خصائص القصة القرآنية	16 - 19
المبحث الرابع : أنـــواع القصة القرآنية	20 - 24
المبحث الخامس : أغراض القصة القرآنية وأهدافها	25 - 29
الفصل الأول : القصة القرآنية عناصرها وفنياتها	
المبحث الأول : العناصر الفنية في قصة سليمان عليه السلام	
المطلب الأول : الشخصية وبناء الحدث	33 - 47
المطلب الثاني : الحوار والسرد	47 - 52
المطلب الثالث : عنصرا الزمان والمكان	53 - 56
المطلب الرابع : المعجزات والخوارق	57 - 61
المبحث الثاني : التصوير الفني في قصة سليمان عليه السلام	
المطلب الأول : قوة العرض وإحياء المشاهد	62 - 64

المطلب الثاني : رسم الشخصيات	64 - 75
المطلب الثالث : تصوير العواطف والانفعالات	75 - 78
الفصل الثاني : القصة القرآنية وأبعادها الجمالية	
المبحث الأول : البناء الفنِّي والجمالي في القصة القرآنية	
المطلب الأول : فنيِّة اللغة والصورة في قصة سليمان عليه السلام	
أولا: النظم القرآني ووجه الإعجاز	80 - 98
1- دلالـــة الألفـــاظ	81 - 92
2- دلالـــة الصور البلاغية	92 - 98
أ- التشبيـــه	92 - 93
ب- الاستعارة	94 - 96
ج- الكنـــايـــة	96 - 98
المطلب الثاني : فنيَّة الأسلوب في قصة سليمان عليه السلام	
أولا : الجملة ودلالتها الأسلوبية	99 - 109
1- الجملـــة الخبريـــة	100 - 102
2- الجملـــة الإنشائية	103 - 109
ثانيا : الإيقـــاع وجمالياته	109 - 124
1- إيقاع اللفظة	110 - 111
2- التكـــرار	112 - 115

أ- تكـــرار الألفـــاظ	114 -112
ب- تكرار الحروف والروابط	115 -114
3- المحسنـــات البديعية	125 -115
1- المعنوية	116 -115
2- اللفظية	124 -117
الخاتمة	128 -127
الملخص	131 -130
قائمة المصادر والمراجع	141-133
فهرس الموضوعات	145 -143